مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين وآله الأولين والآخرين، وصلاة الله وسلامه ورحماته وبركاته، على صفوة خلقه وخاتم أنبيائه ورسوله سيدنا محمد وآله الطاهرين وصحابته أجمعين ورحمة الله ومغفرته للتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فإن الله تعالى وله الحمد والمنة قد كتب لهذا البحث النجاح والقبول بعونه .

فعندما كلفت منذ سنوات بتعلم العلم في حياتي نثر الله الورود في كلية ابن عباس العربية في جالي المعروف لدى الجميع بواسع النشر الدعوة وإنشاء العلماء بتقدم ملموس وثناء مرموق.

هذا، وإني لأطلب من ربي النجاح الكسوب والفرصة الحسنة بانتهاء هذا العمل بشكل إيجابي على حتم انشغال البحث لتحصل على الشهادة قبل التخريج.

وسميت **"التبيان في صوفية سيلان"** على أن تكون هذه الطرق مخرجة من نور الله وفلقة من شمس الحكمة المحمدية وتخرج عن دائرة الكتاب والسنة وتعدو حالتهما وتنفصل عن مركز إشعاعهما بحال من الأحوال .

ولا يفوتني أن أذكر أنه صدرت في الاآونة الأخيرة طرق لبعض الأسماء. فأردت أن يكون بحثي هذا ردا على شبه المستشرقين والمنحرفين ووسيلة لانحطاط أفكارها.

ودونت هذا البحث في هذا المنهاج على أسباب متعددة . وبذلك أرحت نفسي من العناء مراجعة المصادر المتعددة وتصحيح الأقوال المختلفة. لأنني ولدت في أحضان أسرة تتبع الطريقة. ورغبتي الملحة منه في تركيز بلدي من هذه الطرق وجمع الصالحين من إخواننا المسلمين في طريق واحد تتكتل فيه قواهم وتتحد أفكارهم وتتلاقي أرواحهم وتدوين كل الطريقة التي تدعم بالأغلبة. والأحرى بالذي أدى إليه اختلاف بيني وبين بعض الإخوة باتباع الطريقة . ولم يدفعني إلى هذه المحاولة إلا الشعور البالغ بوجود التقليد والانحراف بين الناس . ووجود إظهار الحيلة والمجاملة على إغرار المسلمين بسبب الأثرة والتكاليب على المادة.

هذا، وكل الفضل والشكر في هذا البحث يعود بعد الله تعالى إلى والدي الذين رباني صغيرا فأحسنا تربيتي ومدا أيدي التعاون لاستمرار دراستي في الكلية من قسم التحفيظ إلى المرحلة الثانوية.

وقد مر هذا البحث بمرحلة طويلة من المراجعة ولكن تم بفضل الله وعون منه، ومن تعاون أحبابي وأصدقائي . أشكر شكرا جزيلا لمشرفي الشيخ أبي عبد الله محمد ظفر ابن محمد أجواد . هو الذي بادلني المعلومات وداول الآراء في العسر واليسر وأثبت أقدامي في الملل والاندراس.

وأظهر أيضا أوفر الشكر الجزيل لعميد كليتي الشيخ أبي محمد دين الحسن ابن وهاب الدين معروف لدى الجميع بواسع الاطلاع على الكتب وتدقيق الأمور ونشر الدعوة إلى الله . كما أرفق فائق شكري وتقديري إلى المدرسين الذين أحسنوا الاعتناء بهذا البحث وحرصوا كل الحرص عليه.

وإني إذ أرجو من الله الجزاء لكل من أعانني على هذا العمل بالتشجيع والتوجيه والتصحيح في جمع المعلومات وفي الطباعة ومنح تقديمات من المشايخا الكرام والإخوة الطلاب.

ولا أبرئ نفسي من الزلل والخطإ فالرجاء ممن يطلع فيه على خطإ أو زلة أن ينبهني مشكورا لعلي أتداركه.

فاللهم ياولي المؤمنين ومتولي الصالحين اجعل عملي هذا عملا صحيحا مقبولا وسعيي فيه سعيا مرضيا مشكورا وانفع به.

✍بقلم...

أخيكم في الله

أبي حذافة.

محمد عرفات بن عبد الرؤوف

كلية ابن عباس العربية،

جالي .سري لانكا

٢٠١٥مـ /١٤٣٦هـ

خطة البحث

تمهيد : في بيان انحراف الصوفية بصفة عامة.

الباب الأول : التصوف نشأته وتاريخه وتطوراته.

الفصل الأول : تعريف التصوف.

الفصل الثاني : بدء التصوف وظهوره.

الفصل الثالث : حقيقة التصوف.

الفصل الرابع : مراتب الصوفية.

الفصل الخامس : الخلوات الصوفية وشروطها.

الفصل السادس : الخضوع لأقطاب التصوف.

الباب الثاني : طرق التصوف.

الفصل الأول : مبدأ تاريخ الطريقة الصوفية.

الفصل الثاني : مبدأ تاريخ نشأة الطريقة الصوفية في سريلانكا.

الفصل الثالث : أقسام المتصوفة وذكر طرقهم.

المبحث الأول : الطريقة الشاذلية.

المبحث الثاني : الطريقة الرفاعية.

المبحث الثالث : الطريقة النقشبندية.

المطلب الأول : الطريقة النبوية القادرية.

المبحث الخامس : ظهور عقيدة وحدة الوجود في سريلانكا.

المطلب الأول : طريقة المفلحين.

الفصل الرابع : أعلام الصوفيين

🕮 تمهيد في بيان انحراف الصوفية بصفة عامة

الصوفية التي نبحثها هنا هي الصوفية التي خرجت عن الحق إلي الغلو متأثرة بشتى الأفكار المنحرفة التي هي في الواقع أفكار بدعية طرأت على المسلمين في غياب الوعي الإسلامي وبروز الجهل وعلماء السوء المغرمين بالخرافات وحب الزعامة وهي ذات مفاهيم خاطئة مضطربة تأثرت بمسالك منحرفة وبالغت فيها إلى حد الهوس والاضطراب الفكري الشنيع وكأن حافظ إبراهيم حينما ندب اللغة العربية بقوله:

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة ... مشكلة الألوان مختلفات

كأنه عنى المذهب الصوفي في انحرافه وتنوع مصادره وتلفيق أفكاره من شتي المذاهب ولقد جرأ أصحاب هذه الطريقة الصوفية على القول على الله بغير علم كما كذبوا وأكثروا على رسوله صلى الله عليه وسلم لتقوية مبادئهم الكثيرة وتأييدها وبالغوا في الكذب وزخرف القول وتفننوا في الطرق والآراء حتى ليخيلوا للشخص أنهم على شيء وهم في فراغ وجهل شديد.

وطرقوا مسائل ليست من الإسلام في شيء ولم يقل بها أحد من المسلمين وأظهروا بزخرفهم أنها من الإسلام بما قدموه من تقليب الأدلة وإثارة الشبهة والتفنن في الاستدلال والجواب، وقالوا بوحدة الوجود والحلول والاتحاد ووحدة الشهود، والكشف والقطب والغوث، وغير ذلك من الأمورالتي طرقها كبار دعاتهم، مثل: الحلاج وابن عربي وابن الفارض والبسطامي والجيلي، وغيرهم ممن لبس عليهم إبليس فقالوا بوجود الله تعالى في كل شيء، حتى صار في عرف غلاتهم أن من لا يعتقد اتصاف الخلق بأوصاف الخالق، لا يمكن أن يعد صوفياً ووليا من أولياء الله، كما ذكر الأستاذ إحسان إلهي ذلك عنهم.

وهكذا أصبح المذهب الصوفي بعد أن لبس إبليس على أتباعه خليطاً من شتى الأفكار والآراء المنحرفة، حيث يظهر فيه جلياً غلو الشيعة ومبادئ الباطنية وآراء المسيحية والهندوكية والبوذية، وغير ذلك من الديانات والفلسفيات القديمة كالأفلاطونية وسائر ما قال به علماء اليونان.

وقد قامت الدعوة للصوفية وإظهار شأنها من جديد في هذا العصر على نطاق واسع بسبب عوامل عدة:

منها: جهل كثير من المسلمين بحقيقة دينهم ثم الجهل بحقيقة الصوفية كذلك.

ومنها: مساعدة أعداء الإسلام على نشر الصوفية، لأنهم يعرفون المكاسب التي سيجنون ثمارها إذا علا سلطان الصوفية وفشا الجهل وانتشرت الخرافات الصوفية وخزعبلاتها وتأثروا بآرائها السلبية في مفهوم الجهاد في سبيل الله وفي مفهوم وحدة الأديان التابعة لمفهوم وحدة الوجود.

وأعداء الإسلام هنا فريقان:

فريق عداوته ظاهرة: وهم المستعمرون ومن يبيتون النية لهدم الإسلام وتشتيت كلمة المسلمين، وقد استفاد هؤلاء من أفكار الصوفية كثيراً حين نام المسلمون على دعوى الزهد والإقبال على الآخرة بغير بينة، والتمسح بصور الأولياء وطلب البركة والنصر منهم في حياتهم وبعد موتهم أيضاً، والعكوف على قبورهم.

وفريق آخر متلبسون باسم الدين ويحكمون كثيراً من ديار المسلمين؛ وهؤلاء يساعدون الصوفية خوفاً من عودة الوعي الإسلامي السلفي الذي يصطدم مع ميول ورغبات هؤلاء وشهواتهم.

لأجل هذا ولغيره كان تنبيه طلاب العلم إلي خطر هذا المذهب الرديء واجباً يحتمه النصح لكل مسلم يحب حماية نفسه ودينه، من الانزلاق في خضم الأفكار المبثوثة بين صفوف المسلمين، والتي كان من نتيجتها زيادة الكوارث والخبال الذي حل بديار المسلمين حين ابتعدوا عن المنهج الحق الذي شرعه الله لعباده.

ولقد فرح أعداء الإسلام بانتشار الصوفية التي مهدت لهم السبيل بدعوى الزهد والتقشف والابتعاد عن المظاهر وعن منازعة الحكام والرضا بأفعالهم؛ فعاش المسلمون على هامش الحياة بعد أن خدرت الصوفية أعصابهم بترهاتها وخزعبلاتها التي تنافي العقل السليم والدين الإسلامي الحنيف في كثير من مبادئها وطقوسها المختلفة ونظرتها إلي الحياة.

الباب الأول : التصوف نشأته وتاريخه وتطوراته

الفصل الأول : تعريف التصوف.

الفصل الثاني : بدء التصوف وظهوره.

الفصل الثالث : حقيقة التصوف.

الفصل الرابع : مراتب الصوفية.

الفصل الخامس : الخلوات الصوفية وشروطها.

الفصل السادس : الخضوع لأقطاب التصوف.

الباب الأول: التصوف نشأته وتاريخه وتطوراته

الفصل الأول: تعريف التصوف لغة واصطلاحا.

اختلفت كلمة العلماء حول التعريف الحقيقي للصوفية وللتصوف اختلافاً كثيراً قلما يوجد له مثيل، وقد ذكر بعض العلماء أن تلك التعريفات قد تصل إلي الألفين، يقول محمد طاهر الحامدي: "الأقوال المأثورة في التصوف قيل: إنها زهاء ألفين" [١] ، وقد نقل إحسان إلهي في كتابة "التصوف: المنشأ والمصدر" أقوالاً كثيرة عن أقطاب التصوف في تعريفهم ومفهومهم للتصوف[٢]،

ولكن مهما قيل عن كثرتها واختلاف الناس فيها فإنها كلها لا طائل من ورائها عند التمعن في دراستها، مما يستدعي الحال غض النظر عن تلك التعريفات كلها، وإلقاء الضوء على الأقرب منها، وفيما يلي بيان ذلك.

أما في اللغة:

يطلق علماء اللغة كلمة (صوف) في معاجم اللغة تحت مادة (صوف) على عدة معان، منها إطلاق كلمة صوف على الصوف المعروف من شعر الحيوانات، ومنها صوفان وصوفانة وتطلق على بقلة زغباء قصيرة. وقد أطلقت كلمة "صوف" في بعض دلالتها بمعنى الميل، فيقال صاف السهم عن الهدف بمعنى مال عنه، وصاف عن الشر أي عدل عنه[٣]

في الاصطلاح:

يجب إدراك أن الصوفية مرت بمراحل وتطورات ومفاهيم مختلفة، ومن هنا وقع كثير من الجدل بين العلماء في التعريف بالصوفية، ومهما قيل عن كثرة التعريفات للتصوف، فإنه يصدق عليه عموماً أنه بدعة محدثة في الدين وطرائق ما أنزل الله بها من سلطان.

ونذكر فيما يلي بعض التعريفات التي أطلقت على مفهوم التصوف سواء، كانت من الصوفية أو من مخالفيهم، ومن ذلك ما يلي:

١- التصوف هو تجريد العمل لله تعالى، والزهد في الدنيا وترك دواعي الشهرة، والميل إلى التواضع والخمول، وإماتة الشهوات في النفس.

---

[١]. فرق معاصرة (ص ٧١٧) ,(جـ ٢) ونقل الشيخ من كتاب " التصوف المنشأ والمصدر (ص ٣٧)

[٢]. فرق معاصرة (ص ٧١٧) ,(جـ ٢) ونقل الشيخ من كتاب " التصوف المنشأ والمصدر (ص ٣٦-٤٨)

[٣]فرق معاصرة (ص ٧١٧) ,(جـ ٢) ونقل الشيخ من معاجم اللغة في مادة " صوف "

وهذا التعريف قد لا يصدق في الواقع إلا على التصوف في عهده الأول، الذي كان التصوف فيه عبارة عن الانقطاع لعبادة الله وحده، والزهد في الدنيا والتخفف من متاعها والإقبال على الآخرة، دون أن يلبسوا ذلك بشيء من الأفكار والسلوك المشين الذي وصلت إليه الصوفية بعد ذلك.

٢- وذهب قسم كثير من العلماء إلى أن سبب التسمية للمتصوفة بهذا الاسم - أي "الصوفية" - إنما كان نسبة إلى لبسهم الصوف الذي عبر عن الزهد والتقشف وترك التنعم والملذات المباحة، وقد علق القشيري على هذا بقوله: "فذلك وجه، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف".

٣- وبعض العلماء يرى أن التصوف مأخوذ عن الصفاء؛ أي صفاء أسرارهم أو صفاء قلوبهم أو صفاء معاملتهم لله تعالى، وهو ما يحب الصوفيون التسمي به، بل إن كل انتساب فيما لاحظ (نيكلسون) إلى الصوفي قابله اثنا عشر تعريفاً تعتمد على الصفاء، الذي حاول الصوفية أن ينتسبوا إليه [١] . إلا أن القشيري قد استبعد هذا المفهوم في اللغة بقوله: "ومن قال أنه مشتق من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة" [٢] .

٤- وبعضهم يرى أنه نسبة إلى الصفة التي كان يجلس فيها فقراء الصحابة رضوان الله عليهم في المسجد، ويرى القشيري أن النسبة إلى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي[٣].

٥- وبعضهم يرى أنه نسبة إلى الصف الأول، قال القشيري:

"فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم، فالمعنى صحيح ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف" [٤] .

٦- وبعضهم يرى أنه نسبة إلى قبيلة بني صوفة وهى قبيلة بدوية كانت حول البيت في الجاهلية، وهى تنتسب إلى رجل يقال له صوفة كان قد انقطع للعبادة في المسجد الحرام.

٧- وبعضهم يرى أنها نسبة إلى الصفوة من خلق الله تعالى.

وهناك تعريفات كثيرة خاض فيها العلماء باجتهاداتهم بعضها من وضع أقطاب التصوف وبعضها من غيرهم لا يهمنا سردها هنا بالتفصيل والدراسة الشاملة لها كلها[٥] ، إذ الغرض إنما هو التنبيه إلى ما وقع من اختلاف فيالتعريف بهم، ولما كانت تلك التعريفات أموراً اجتهادية واستحسانات وتقريباً لهذا المذهب، فإنك تجد أنه يرد عليها اعتراضات كثيرة، وفى بعضها أخطاء واضحة.

---

[١]. فرق معاصرة (ص٧١٩) ,(جـ ٢) ونقل الشيخ من كتاب " دراسات في التصوف " (ص ٩٨)

[٢]. فرق معاصرة (ص٧١٩) ,(جـ ٢) ونقل الشيخ من كتاب " الرسالة القشيري " (ج ـ ٢ ، ص ٥٥٠)

[٣]فرق معاصرة (ص٧١٩) ,(جـ ٢) ونقل الشيخ من المصدر السابق

[٤] فرق معاصرة (ص٧١٩) ,(جـ ٢) ونقل الشيخ من المصدر نفسه

[٥]فرق معاصرة (ص٧١٩) ,(جـ ٢) ونقل الشيخ من كتاب " الرسالة القشيري " (ج ـ ٢ ، ص ٥٥٠) ، ومن الصوفية معتقدا ومسلكا (ص ١٩- ٣٩)

ولشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ردود على بعض تلك التعريفات، فقد ذكر أنه إذا كانت النسبة إلى أهل الصفة - وهو خطأ تاريخي كما سنبين - ذلك - فإنه يقال صُفِّي، وأما إذا كانت إلى الصف المقدم بين يدي الله تعالى فإنه يقال صَفِّي، وأما إذا كانت نسبة إلى الصفوة من خلق الله فإنه يقال صَفوِيٌّ، وأما إذا كانت النسبة إلى ذلك الرجل الجاهلي فإنه لا أحد من المتصوفة يرضى أن ينسب إلى قبيلة جاهلية قبل الإسلام، إضافة إلى أنه لم تعرف هذه التسمية بين الصحابة ولا كانت هذه القبيلة مشهورة أيضاً [١] .

وقد زعم كاتب نصراني هو "جورجي زيدان" "أن كلمة تصوف في العربية تعادلها كلمة "سوفيا" اليونانية والتي معناها الحكمة" ، أي أن التصوف نسبة إلى الحكمة اليونانية، وهو زعم أبطله كثير من العلماء؛ وربما لأن التصوف إنما ظهر بعد الإسلام ولا يمنع هذا أن تتأثر الصوفية بعد ذلك بشتى التأثيرات بل هو الواقع، ولكن ليس بالمفهوم اليوناني الكامل.

هذا ونسبة التصوف إلى الصوف أقرب إلى الاشتقاق اللغوي كما أنه أقرب كذلك إلى ذوق الصوفية وحالهم في تمسكهم بلباس الصوف، وقد ذهب إلى تقرير هذا القول كثير من العلماء في نسبتهم لهذه الطائفة التي لمتوجد في زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولا في زمن الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان؛ إذ لو وجدت في هذه الأزمنة وعرفها الناس وعرفوا مسالكها لاشتهرت تسميتها ولما حصل لبس أو خلاف في حقيقتها واتجاهاتها بين المتأخرين.

وقد رجح شيخ الإسلام فيما يظهر من كلامه أن التصوف نسبة إلى الصوف حيث قال: "وقيل - وهو المعروف -: أنه نسبة إلى لبس الصوف".

ثم علل ذلك بقوله: "فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد، وعبد الواحد من أصحاب الحسن، وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار؛ ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية" وأيد للسهروردي صحة القول بنسبة الصوفية إلى الصوف، وذكر أدلة كثيرة على فضائل لبس الصوف، وبالغ في مدح الصوفية حين اختاروا هذا الاسم بما يطول نقله.

ثم ذكر الأسماء الأخرى والتي منها نسبتهم إلى أهل الصفة من فقراء الصحابة المهاجرين ثم قال:

"وهذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكن صحيح من حيث المعنى؛ لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك" [٢] .

---

[١]. فرق معاصرة (ص٧٢٠) ,(جـ ٢) ونقل الشيخ من كتاب " الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام (ص ١٣\١٤)

[٢]. فرق معاصرة (ص٧٢١) ,(ج ٢) ونقل الشيخ من كتاب" عوارف المعارف" (ص ٤٥-٤٩)

الفصل الثاني : بَدْءُ التّصَوّفِ وَظهُوره

بدء التصوف وظهوره

إن الناس اختلفوا في بدء ظهور هذه الكلمة واستعمالها كاختلافهم في أصله وتعريفه , فذكر ابن تيمية وسبقه ابن الجوزي وابن خلدون في هذا أن لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة الأولى , وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك , وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام أحمد بن حنبل , وأبي سليمان الداراني وغيرهما , وقد روى عن سفيان الثوري أنه تكلم به , وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري [١]

وقال السراج الطوسي في الباب الذي خصصه للرد على من قال: لم نسمع بذكر الصوفية في القديم وهو إسم مستحدث: يقول في هذا الباب:

(إن سأل سائل فقال: لم نسمع بذكر الصوفية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين , ولا فيمن كان بعدهم , ولا نعرف إلا العبّاد والزُّهاد والسيَّاحين والفقراء , وما قيل لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: صوفي , فنقول وبالله التوفيق.

الصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لها حرمة , وتخصيص من شمله ذلك , فلا يجوز أن يعلق عليه اسم على أنه أشرف من الصحبة , وذلك لشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرمته , ألا ترى أنهم أئمة الزهاد والعباد والمتوكلين والفقراء والراضين والصابرين والمختبين , وغير ذلك , وما نالوا جميع ما نالوا إلا ببركة الصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم , فلما نسبوا إلى الصحبة والتي هي أجل الأحوال استحال أن يفضلوا بفضيلة غير الصحبة التي هي أجل الأحوال وبالله التوفيق.

وأما قول القائل: إنه اسم محدث أحدثه البغداديون , فمحال , لأن في وقت الحسن البصري رحمه الله كان يعرف هذا الاسم , وكان الحسن قد أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم , وقد رُوي عنه أنه قال: رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال: معي أربعة دوانيق يكفيني ما معيوروي عن سفيان الثوري رحمه الله أنه قال: لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء , وقد ذكر الكتاب الذي جُمع فيه أخبار مكة عن محمد بن إسحاق بن يسار , وعن غيره يذكر فيه حديثاً: أنه قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات , حتى كان لا يطوف بالبيت أحد ,

[١] التصوف المنشا والمصدر ص. ٤٠ نقل الشيخ من كتاب " الصوفية والفقراء (ص.٥). وتلبيس الابليس لابن الجوزي (ص. ١٥٧).

وكان يجيء من بلد بعيد رجل صوفي فيطوف بالبيت وينصرف , فإن صح ذلك فإنه يدل على أنه قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم , وكان يُنسب إليه أهل الفضل والصلاح , والله أعلم) .[١]

وبمثل ذلك قال السهروردي: (وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم , وقيل: كان في زمن التابعين - ثم نقل عن الحسن البصري وما نقلناه عن الطوسي أيضا - ثم قال: وقيل: لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة العربية)[٢].

وصرح عبد الرحمن الجام

(أن أبا هاشم الكوفي أول من دعى بالصوفي , ولم يسم أحد قبله بهذا الاسم , كما أن أول خانقاه بني للصوفية هو ذلك الذي في رملة الشام , والسبب في ذلك أن الأمير النصراني كان قد ذهب للقنص فشاهد شخصين من هذه الطائفة الصوفية سنح له لقاؤهما وقد احتضن أحدهما الآخر وجلسا هناك , وتناولا معا كل ما كان معهما من طعام , ثم سارا لشأنهما , فسرّ الأمير النصراني من معاملتهما وأخلاقهما , فاستدعى أحدهما , وقال له: من هو ذاك؟

قال: لا أعرفه , قال: وما صلتك به؟.

قال: لا شيء. قال: فمن كان؟.

قال: لا أدري , فقال الأمير: فما هذه الألفة التي كانت بينكما؟.

فقال الدرويش: إن هذه طريقتنا , قال: هل لكم من مكان تأوون إليه؟.

قال: لا , قال: فإني أقيم لكما محلا تأويان إليه , فبنى لهما هذه الخانقاه في الرملة)[٣].

وأما القشيري فقال:اشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة).

وأما الهجويري فلقد ذكر أن التصوف كان موجودا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم , وباسمه , واستدل بحديث موضوع مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من سمع صوت أهل التصوف فلا يؤمن على دعائهم كتب عند الله من الغافلين).

مع أنه نفسه كتب في نفس الباب في آخره شارحا كلام أبي الحسن البوشنجي (التصوف اليوم اسم بلا حقيقة , وقد كان من قبل حقيقة بلا اسم) فكتب تحته موضحا:

---

[١] . التصوف المنشأوالمصدر ص. ٤١

[٢]. المصدر السابق ص.٤١. ونقل الشيخ من " عوارف المعارف للسهروردي ص. ٦٣.

[٣]. المصدر السابق ص.٤١

(يعني أن هذا الاسم لم يكن موجودا وقت الصحابة والسلف , وكان المعنى موجودا في كل منهم , والآن يوجد الاسم , ولا يوجد المعنى)

وأما المستشرقون الذين كتبوا عن التصوف , ويعدون من موالي الصوفية وأنصارهم , فمنهم نيكلسون فإنه يرى مثل ما يراه الجامي أن لفظة التصوف أطلقت أول ما أطلقت على أبي هاشم الكوفي المتوفى سنة ١٥٠ هـ[١].

ولكن المستشرق الفرنسي المشهور ما سينيون يرى غير ذلك , فيقول:

ورد لفظ الصوفي لأول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي إذ نعت به جابر بن حيان , وهو صاحب كيمياء شيعي من أهل الكوفة , له في الزهد مذهب خاص , وأبو هاشم الكوفي الصوفي المشهور.

أما صيغة الجمع (الصوفية) التي ظهرت عام ١٨٩ هـ (٨١٤ م) في خبر فتنة قامت بالأسكندرية فكانت تدل قرابة ذلك العهد على مذهب من مذاهب التصوف الإسلامي يكاد يكون شيعيا نشأ في الكوفة , وكان عبدك الصوفي آخر أئمته , وهو من القائلين بأن الإمامة بالإرث والتعيين , وكان لا يأكل اللحم , وتوفى ببغداد حوالي عام ٢١٠ هـ.

وإذن فكلمة صوفي كانت أول أمرها مقصورة على الكوفة)[٢].

وقال أيضا

صاحب عزلة بغدادي , وهو أول من لقب بالصوفي , وكان هذا اللفظ يومئذ يدل على بعض زهاد الشيعة بالكوفة , وعلى رهط من الثائرين بالأسكندرية , وقد يعدّ من الزنادقة بسبب إمتناعه عن أكل اللحم , ويريد الأستاذ أول من لقب بالصوفي في بغداد كما يؤخذ مما نقله عن الهمذاني , ونصه:

---

[١]. المصدر السابق ونقل الشيخ من : التصوف الإسلامي وتاريخه لنيكلسون .ص. ٢٢٧.

[٢]. المصدر السابق ص. ٤٢ ونقل الشيخ من دائرة المعارف الإسلامية .ص.٤١٩.

(ولم يكن السالكون لطرق الله في الأعصار السالفة والقرون الأولى يعرفون باسم المتصوفة , وإنما الصوفي لفظ أشتهر في القرن الثالث , وأول من سمي ببغداد بهذا الاسم عبدك الصوفي , وهو من كبار المشائخ وقدمائهم , وكان قبل بشر بن الحارث الحافي والسري بن المفلس السقطي)[١].

والجدير بالذكر أن هؤلاء الثلاثة الذين يقال عنهم بأنهم أول من سمّو بهذا الاسم , وتلقبوا بهذا اللقب مطعونون في مذاهبهم وعقائدهم , ورمى كل واحد منهم بالفسق والفجور وحتى الزندقة , وخاصة جابر بن حيان , وعبدك كما سيأتي ذلك مفصلا في محله من الكتاب إن شاء الله.

وقد سبق كلام شيخ الاسلام ابن تيمية حيث قال: (إن لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة , وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك).

وبمثل ذلك قال ابن خلدون في مقدمته.

فخلاصة الكلام أن الجميع متفقون على حداثة هذا الاسم , وعدم وجوده في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالحين.

نعم, كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهد خلق الله في الدنيا وزخارفها , وأصحابه على سيرته وطريقته , يعدّون الدنيا وما فيها لهوا ولعبا , زائلة فانية , والأموال والأولاد فتنة ابتلي المؤمنون بها , فلم يكونوا يجعلون أكبر همهم إلا ابتغاء مرضاة الله , يرجون لقاءه وثوابه , ويخافون غضبه وعقابه , آخذين من الدنيا ما أباح الله لهم أخذه , ومجتنبين عنها ما نهى الله عنه , سالكين مسلك الاعتدال , منتهجين منهج المقتصد , غير باغين ولا عادين , مفرطين ولا متطرفين , وعلى رأسهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلفاء الراشدون ,وبقية العشرة المبشرة , ثم البدريون , ثم أصحاب بيعة الرضوان , ثم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار , ثم عامة الأصحاب , على ترتيب الأفضلية كما مرّ سابقا في الفصل الأول من هذا الباب.

وتبعهم في ذلك التابعون لهم بإحسان , واتباع التابعين , أصحاب خير القرون , المشهود لهم بالخير والفضيلة , ولم يكن لهؤلاء كلهم في غير رسول الله أسوة ولا قدوة , الذي قال فيه جل وعلا:

{أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ، وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ، فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ }[٢]

---

[١]. المصدر السابق .ص.٤٣. ونقل الشيخ من " التصوف الماسينيون ص . ٥٥،٥٦

[٢]. سورة الضحى من الأية ٦ إلى آخر السورة.

والذي إذا وجد طعاما فأكل وشكر , وإذا لم يجد فرضي وصبر , وأحب لبس الثياب البيض , واكتسب جبّة رومية , ونهى عن التصدق بأكثر من ثلث المال , وأمر بحفظ حقوق النفس والأهل والولد , ونهى عن تعذيب النفس واتعاب الجسد والبدن , وحرّص متبعيه على طلب الحلال , وطلب الحسنات في الدنيا والآخرة , ومنع الله تعالى من التعنت والتطرف في ترك الدنيا وطيباتها في آيات كثيرة في القرآن الكريم.

ثم خلف من بعدهم خلف فتطرفوا , وذهبوا بعيدا في نعيم الدنيا وزخارفها , وفتحت عليهم أبواب الترف والرخاء , ودرّت عليهم الأرض والسماء , وأقبلت عليهم الدنيا بكنوزها وخزائنها , وفتحت عليهم الآفاق فانغمسوا في زخارفها وملذاتها , وبخاصة العرب الفاتحون الغزاة , والغالبون الظاهرون , فحصل ردّ الفعل , وفي نفوس المغلوبين المغزوين والمقهورين , من الموالي والفرس والمفلسين وأصحاب النفوس الضعيفة المتوانية خاصة , فهربوا عن الحياة ومناضلتها , وجدّها وكدّها , ولجأوا إلى الخانقاوات والتكايا والزوايا والرباطات , فرارا من المبارزة والمناضلة , وصبغوا هذا الفرار والانهزام وردّ الفعل صبغة دينية , ولون قداسة وطهارة , وتنزه وقرابة , كما كان هنالك أسباب ودوافع ومؤثرات أخرى , وكذلك أيدي خفية دفعتهم إلى تكوين فلسفة جديدة للحياة , وطراز آخر من المشرب والمسلك , وأسلوب جديد للعيش والمعاش , فظهر التصوف بصورة مذهب مخصوص , وبطائفة مخصوصةاعتنقه قوم , وسلكه أشخاص ساذجون بدون تفكير كثير , وتدبر عميق كمسلك الزهد , ووسيلة التقرب إلى الله , غير عارفين بالأسس التي قام عليها هذا المشرب , والقواعد التي أسس عليها هذا المذهب , بسذاجة فطرية , وطيبة طبيعية , كما تستر بقناعه , وتنقب بنقابه بعض آخرون لهدم الإسلام وكيانه ,

وإدخال اليهودية والمسيحية في الإسلام , وأفكارهما من جانب , والزرادشتية والمجوسية والشعوبية من جانب آخر , وكذلك الهندوكية والبوذية والفلسفة اليونانية الأفلاطونية من ناحية أخرى , وتقويض أركان الإسلام وإلغاء تعاليم سيد الرسل صلى الله عليه وسلم , ونسخ الإسلام وإبطال شريعته بنعرة وحدة الوجود , ووحدة الأديان , وإجراء النبوة , وترجيح من يسمى بالولي على أنبياء الله ورسله , ومخالفة العلم , والتفريق بين الشريعة والحقيقة , وترويج الحكايات والأباطيل والأساطير , باسم الكرامات والخوارق وغير ذلك من الخلافات والترهات.

فلم يظهر التصوف مذهبا ومشربا , ولم يرج مصطلحاته الخاصة به , وكتبه , ومواجيده وأناشيده , تعاليمه وضوابطه , أصوله وقواعده , وفلسفته , ورجاله وأصحابه إلا في القرن الثالث من الهجرة وما بعده.

وبذلك يقول ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس:

(كانت النسبة في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان والإسلام. فيقال: مسلم ومؤمن , ثم حدث اسم زاهد وعابد , ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد , فتخلوا عن الدنيا , وانقطعوا إلى العبادة , واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها , وأخلاقا تخلقوا بها , ثم قال: وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين , ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه , وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة , وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس , ومجاهدة الطبع بردّه عن الأخلاق الرذيلة , وجعله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى ... وعلى هذا كان أوائل القوم , فلبّس عليهم إبليس في أشياء , ثم لبس على بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن التالي فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن.

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات. فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا مايصلح أبدانهم. وشبهوا المال بالعقارب , ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجعوهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة. وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري.

ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوسواس والخطرات وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي. وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة. ثم مازال الأمر ينمى والأشياخ يضعون لهم أوضاعا ويتكلمون بواقعاتهم. ويتفق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما هم فيه أوفى العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر. ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم تخايلوا شخصا مستحسن الصورة فهاموا به. وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق. ففسدت عقائدهم. فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالإتحاد. وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سننا وجاء أبو عبد الرحمن السلمي فصنف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم. وإنما حملوه على مذاهبهم. والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن. وقد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن القزاز , قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: قال لي محمد بن يوسف القطان النيسابوري قال كان أبو عبد الرحمن السلمي غير

ثقة ولم يكن سمع من الأصم إلا شيئا يسيراً فلما مات الحاكم أبو عبد الله بن البيع حدث عن الأصم بتاريخ يحيى بن معين وبأشياء كثيرة سواه. وكان يضع للصوفية الأحاديث.

وصنف لهم أبو نصر السراج كتابا سماه لمع الصوفية ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكر منه جملة إن شاء الله تعالى. وصنف لهم أبو طالب المكي قوت القلوب فذكر فيه الأحاديث الباطلة ومالا يستند فيه من أصل من صلوات الأيام والليالي وغير ذلك من الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسد. وردد فيه قول - قال بعض الكاشفين - وهذا كلام فارغ وذكر فيه عن بعض الصوفية إن الله عز وجل يتجلى في الدنيا لأوليائه. أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر الخطيب قال: قال أبو طاهر محمد بن العلاف , قال: دخل أبو طالب المكي إلى البصرة بعد وفاة أبي الحسين بن سالم فانتمى إلى مقالته وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ فخلط في كلامه فحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوق أضر من الخالق. فبدعة الناس وهجروه فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك قال الخطيب: وصنف أبو طالب المكي كتابا سماه قوت القلوب على لسان الصوفية وذكر فيه أشياء منكرة مستبشعة في الصفات.

وجاء أبو نعيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب الحلية. وذكر في حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة ولم يستح أن يذكر في الصوفية أبابكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضي الله عنهم. فذكر عنهم فيه العجب وذكر منهم شريحاً القاضي والحسن البصري وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وكذلك ذكر السلمي في طبقات الصوفية الفضيل وإبراهيم وإبراهيم بن أدهم ومعروفاً الكرخي وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد.

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما. أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف على ما سيأتي ذكره وصنف لهم عبد الكريم بن هوازن القشيري كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء والبقاء , والقبض , والبسط , والوقت , والحال , والوجد والوجود , والجمع ووالتفرقة , والصحو والسكر , والذوق , والشرب , والمحو , والإثبات , والتجلي , والمحاضرة والمكاشفة , واللوائح والطوالع , واللوامع , والتكوين , والتمكين والشريعة , والحقيقة. إلى غير ذلك من التخليط الذي ليس بشيء وتفسيره وأعجب منه , وجاء محمد بن طاهر المقدسي فصنف لهم صفوة التصوف فذكر فيه أشياء يستحي العاقل من ذكرها سنذكر منها ما يصلح ذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى.

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ يقول: كان ابن طاهر يذهب مذهب الإباحة: قال وصنف كتاباً في جواز النظر إلى المراد أورد فيه حكاية عن يحيى بن معين قال: رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها. فقيل له تصلي عليها فقال صلى الله عليها وعلى كل مليح. قال شيخنا ابن ناصر , وليس ابن طاهر بمن يحتج به , وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب الإحياء على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه , وقال أن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوار هي حجب الله عز وجل ولم يرد هذه المعروفات. وهذا من جنس كلام الباطنية. وقال في كتابه المفصح بالأحوال. إن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياءويسمعون منهم أصواتا ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق)[١].

[١]. المصدر السابق .ص ٤٨. ونقل الشيخ من " تلبيس الإبليس لابن الجوزي. ص.١٥٦,

✍ الفصل السادس: حقيقة التصوف

🕮حقيقة التصوف:

لقد مضي زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولم يعرف عنهم أي سلوك يتميزون به غير اتباع الكتاب والسنة والتشرف بنسبتهم إلي ذلك، غير ملتفتين إلي التنطع في سلوكهم أو مخترعين طرائق ورهبانية مبتدعة.

إلى أن أحدث أناس في الدين بدعة التصوف منحرفين عن المنهج السليم، وراحوا يتخبطون في دوائر وهمية وفرق عديدة وأحزاب متناحرة كل حزب بما لديهم فرحون.

وقد أخذ كل فريق من هؤلاء يعبر عن التصوف حسب ما يراه، ويطول سرد تلك المفاهيم والتعبيرات والأقوال التي صدرت عن أقطاب هؤلاء؛ كالجريري، والجنيد، وعمرو بن عثمان المكي، ومحمد بن علي القصاب، ومعروف الكرخي، والسهروردي، والشبلي، والشاذلي، والتجاني، والبسطامي، وابن عربي، وابن الفارض وغيرهم.

ولهذا فإن العلماء لم يتفقوا علي بيان محدد لمفهوم التصوف عند الصوفيين؛ ذلك لإطلاق هؤلاء الصوفية عبارات شتى حسب ذوق كل فريق، وتخيلاته لمفهوم التصوف، إلا أن الحصيلة العامة لأقوالهم تلتقي حول أن التصوف هو: القرب من الله، وترك الاكتساب، والتمسك بالخلق الرفيع،والجود، ورفع التكاليف عن بعض فضلائهم حين يتصلون بالله عز وجل علي حد زعمهم، ويصلون إلي درجة اليقين وظهور المكاشفات، ثم هم بعد ذلك درجات في تطبيق هذا المفهوم.

ولقد ذكر القشيري في "رسالته" عدداً من الآراء الصوفية في مفهوم التصوف والصوفي، حيث قال:

"وتكلم الناس في التصوف ما معناه، وفي الصوفي من هو؟ فكل عبر بما وقع له، واستقصاء جميعه يخرجنا عن المقصود من الإيجاز، وسنذكر هنا بعض مقالاتهم فيه علي حد التلويح".

وإذا كان القشيري قد اعتذر عن إيراد كل ذلك لكثرته مكتفياً بذكر بعض مقالاتهم، فإنني أنا كذلك أعتذر عن إيراد كل ما ذكره القشيري لكثرته أيضاً، وأذكر من ذلك ما نقله عن الجنيد أنه قال:

"إذا رأيت الصوفي يعني لظاهره فاعلم أن باطنه خراب".

وقال القشيري:

"سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سئل ابن الجلاء: ما معني قولهم صوفي؟ فقال: ليس نعرفه في شرط العلم، ولكن نعرف أن من كان فقيراً مجرداً من الأسباب وكان مع الله

تعالى بلا مكان، ولا يمنعه الحق سبحانه عن علم كل مكان، يسمى صوفياً". ونقل عن أبي يعقوب المزابلي أنه قال: "التصوف حال تضمحل فيها معالم الإنسانية".

وقال القشيري أيضاً: "سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: أحسن ما قيل في هذا الباب قول من قال: هذا طريق لا يصلح إلا لأقوام قد كنس الله بأرواحهم المزابل ؛ ولهذا قال رحمة الله يوماً: "لو لم يكن للفقيرإلا روح فعرضها علي كلاب هذا الباب لم ينظر كلب إليها".

وعن الأستاذ أبي سهل الصعلوكي أنه قال:

" التصوف الإعراض عن الاعتراض".

قال القشيري:

"ويقال: الصوفي المصطلم عنه، بما لاح له من الحق" [١] .

وهناك أقوال أخري ذكرها القشيري كلها تدور حول مدح التصوف وبيان تعلقات الصوفية ومفاهيمهم حول المولي جل وعلا، وحول هذا الكون وواجبات الصوفي واهتماماته الدنيوية والأخروية، صيغت بزخرف من القول وإيغال في الخيال في بعضها، وحكم جيدة في البعض الآخر.

وأما السهروردي فقد أورد باباً خاصاً في كتابه عوارف المعارف قال فيه:

"الباب الخامس في ماهية التصوف"،

وقد أكد في هذا الباب علي أن أساس التصوف هو الفقر، حيث قال: "فالفقر كائن في ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه"، ونقل أقوالاً كثيرة عن صفة هذا الفقر الصوفي، منها: ما قاله الشبلي حين سئل عن حقيقة الفقر فقال: "ألا يستغني بشيء دون الحق".

ونقل عن مظفر القرميسني أنه قال: "الفقير الذي لا يكون له إلي الله حاجة" (٣)أي المستغرق عن نفسه.

وقال السهروردي:

"وقيل: التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع"

إلي آخر ما ذكر مما قدمناه ذكره عن القشيري، وقد أضاف أوصافاً أخري لا ضرورة لذكرها (١) .

وأما حقيقة التصوف وأصله عند غير الصوفية فقد اختلفت وجهة نظر العلماء في الحكم عليه.

وأهم ما قيل في ذلك:

---

[١]. فرق معاصرة. ص.٧٤٠. ونقل الشيخ من " الرسالة القشيري ج، ٢ / ص.٥٥-٥٧

أن التصوف علي الإطلاق أساسه الإسلام وأن أصوله العقدية وسلوكهم فيه مستمدة من نصوص الكتاب والسنة، وما أدي إليه الاجتهاد في فهمها.

وهذا القول قريب من وجهة نظر الصوفية ومفهومهم فيه رغم اعتراف بعضهم بتأثر التصوف ببعض التيارات الفكرية الخارجية عن الإسلام.

أن التصوف علي الاطلاق ليس إسلامي النشأة، وإنما وفد علي البيئة الإسلامية مع ما وفد من عادات وتقاليد الأجناس الأخرى بعدما امتزجت واختلطت عقب الفتح الإسلامي[١].

وعلى هذا الرأي بعض الملاحظات، فقد ينطبق هذا الرأي علي ذلك النوع من التصوف، الذي قام على أساس من الغلو والانحراف الذي جاء به أصحاب وحدة الوجود والحلول والاتحاد، مع تظاهرهم بالانتساب إلى الإسلام وتقديسهم لنبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم، ولعل سبب هذا القول إنما يعود إلي الواقع الذي اشتمل عليه مفهوم التصوف.

وقد يبدو للناظر أنه يوجد لكل من القولين السابقين ما يبررهما في العقائد الصوفية، وأهل هذا القول يرجعون نشأة التصوف إلي أنه فارسي أو هندي أو يوناني أو مسيحي أو أنه مزيج من هذا كله، وعلي رأس هذا الفريق كثير من المستشرقين ومن غيرهم أيضاً.

ومما نكتفي بالإشارة إليه هنا بغض النظر عن ترجيح نشأة التصوف وحقيقته أن الطريقة الصوفية قد تأثرت كثيراً بالآراء والأفكار المخالفة للإسلام، حيث تظهر فيها تلك الأفكار واضحة جلية في جوانب كثيرة في الاعتقاد والسلوك، خصوصاً الأفكار الهندية والفارسية واليونانية والمسيحية، كما سيتضح ذلك من دراستنا لهذه الطائفة، بعد أن كان التصوف في بدء أمره عند بعض المسلمين عبارة عن الزهد عن الدنيا والرغبة في الآخرة، وقتل هوى النفس والاتجاه إلي الله، ولبس الصوف لتعويد النفس علي التحمل والمكابدة، إلي أن أخذ يتطور في الانحدار والبعد عن حقيقة الإسلام في كثير من الأمور التي طرقها التصوف؛ فأصبح مذموماً نفر عنه أهل الحق لخلط المتصوفة بين الزهد والتصوف المغالي.

إذ الزهد المشروع لم يذمه أحد، وتوجه الذم إلي التصوف رغم تظاهر المتصوفة بالزهد، حتى صار أطيب الطعام عندهم ما كان عن ذل السؤال وحمل الزنبيل والتسول والانزواء في أماكن عبادتهم، وانتظار ما يجود به الناس عليهم، ويظنون أنهم يحققون بذلك التوكل الذي يريده الله، وهم في الحقيقة إنما يحققون التواكل والكسل البغيض عن طلب الرزق وإعزاز النفس، إضافة إلى الابتعاد عن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وما يهدف إليه، من إيجاد اليقين بعزة النفس وكرماتها في الدنيا والآخرة.[٢]

---

[١]. انظر لمزيد التفصيل " الصوفية معتقدا ومسلكا . ص.٤٧-٤٨

[٢]. فرق معاصرة .ص. ٧٤٦ / ج.٢.

الفصل الرابع : مَرَاتِبُ الصّوفيَّة

مَرَاتِبُ الصّوفيَّة

وأما مراتب الصوفية , التي وضعوها لبيان طبقات المتصوفة ومكانتهم , وقدرتهم واختيارهم على الخلق , وأعدادهم , وهم حسب كلام لسان الدين بن الخطيب:

(خواصّ الله في أرضه , ورحمة الله في بلاده على عباده: الأبدال , والأقطاب , والأوتاد , والعرفاء , والنجباء , والنقباء , وسيدهم الغوث)[١].

ولدى الهجويري هم: (أهل الحل والعقد , وقادة حضرة الحق جل جلاله , فثلاثمائة يدعون الأخيار , وأربعون آخرون يسمون الأبدال , وسبعة آخرون يقال لهم: الأبرار , وأربعة يسمون الأوتاد , وثلاثة آخرون يقال لهم: النقباء , وواحد يسمى القطب والغوث.

وهؤلاء جميعا يعرفون أحدهم الآخر , ويحتاجون في الأمور لإذن بعضهم البعض)[٢].

ومثل ذلك ذكرهم الجرجاني في تعريفاته:

(القطب , وهو الغوث: عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان ومكان , وهو على قلب إسرائيل عليه السلام.

الإمامان: هما شخصان , أحدهما عن يمين الغوث ونظره في الملكوت , والآخر عن يساره , ونظره في الملك , وهو أعلى من صاحبه , وهو الذي يخلف الغوث.

الأوتاد: عبارة عن أربعة رجال منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم: شرق وغرب وشمال وجنوب , مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة.

البدلاء: هم سبعة , ومن سافر من القوم من موضعه وترك جسدا على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد , فذلك هو البدل لا غير , وهم على قلب إبراهيم عليه السلام.

النجباء: أربعون , وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق فلا يترفون إلا في حق الغير.

---

[١]. المصدر المنشأ والمصدر .ص.٢٤١.، ونقل الشيخ من " روضة التعريف .ص. ٤٣٢.

[٢]. المصدر السابق .صز ٢٤١. ونقل الشيخ من " كشف المحبوب للهجويري . ص. ٤٤٧-٤٤٨.

النقباء: هم الذين استخرجوا خبايا النفوس , وهم ثلاثمائة)[١].

وهذا الترتيب مأخوذ عن ابن عربي في فتوحاته كما قال:

(والمجمع عليه من أهل الطريق أنهم على ست طبقات أمهات: أقطاب , وأئمة , وأوتاد , وأبدال , ونقباء , ونجباء).

ومثل ذلك ورد في (الوصية الكبرى) لشيخ العروسية عبد السلام الفيتوري.

وفي (جامع الأصول في الأولياء) للكمشخانوي.

وفي (طبقات السلمي) للسلمي[٢].

الملامتية:

وهم الذين لا يظهرون للخلق أعمالاً وأسراراً، بل يخفون أسرارهم لكمال ذوقهم وقوة شهودهم لربهم.

الأفراد:

وهم المفردون والغرباء لتفردهم عن الخلق بشهود الحق، وغربتهم في أهل زمانهم، وهم غير منحصرين في رتبة أو منزلة، ولهم كشف خاص وعلوم إلهية غريبة على الناس.. وهم على قدم النبي صلى الله عليه وسلم [٣]

ولا بأس في إيراد عبارة داود بن محمود القيصري هنا , لما فيها من زيادة توضيح لها الأمر , فيقول:

(ولهم مراتب. الأولى مرتبة القطبية , ولا يكون فيها أبداً إلا واحد بعد واحد , ويسمى غوثا , لكونه مغيثاً للخلق في أحوالهم. ثم مرتبة الإمامين , وهما كالوزيرين للسلطان. أحدهما صاحب اليمين , وهو المتصرف بإذن القطب في عالم الملكوت والغيب , وثانيهما صاحب اليسار , وهو المتصرف في عالم الملك والشهادة. وعند إرتحال القطب إلى الآخرة , لا يقوم مقامه , منهما وإلا صاحب اليسار , لكونه أكمل في السير من صاحب اليمين: لأنه , بَعْدُ , ما نزل في السير من عالم الملكوت إلى عالم الملك , وصاحب اليسار نزل إليه , وكملت دايرته في السير والوجود. ثم مرتبة الأربعة , كالأربعة من الصحابة , رضي اله عنهم أجمعين! ثم مرتبة البدلاء السبعة , الحافظين للأقاليم السبعة. وكل منهم قطب للإقليم الخاص به. ثم مراتب الأولياء العشرة , كالعشرة المبشرة. ثم مراتب الإثني عشر , الحاكمين على البروج الإثني عشر , وما يتعلق بها ويلزمها من حوادث الأكوان. ثم العشرين والأربعين والتسعة والتسعين , مظاهر الأسماء الحسنى , إلى الثلاثمائة والستين.

---

[١]. المصدر السابق .ص. ٢٣٢، ونقل الشيخ من " التعريفات للجرجاني .ص. ١٥٣

[٢]. المصدر السابق .ص. ٥٧.

[٣]. فرق معاصرة .ص. ٨٧٠.، ونقل الشيخ من " جمهرة الأولياء .ج.١/ ١٦١، ٣٠٦، ٣١١.

وهؤلاء قائمون في العالم على سبيل البدل , في كل زمان , ولا يزيد عددهم ولاينقص إلى يوم القيامة. وغيرهم من الأولياء يزيدون وينقصون , بحسب ظهور التجلي الإلهي وخفائه. وبعدهم: مرتبة الزهاد والعبّاد والعلماء من المؤمنين , الكائنين في كل زمان إلى يوم الدين. وجميع هؤلاء المذكورين , داخلون في حكم القطب.

والأفراد الكمّل , الذين تعادل مرتبتهم مرتبة القطب إلا في الخلافة , هم الخارجون من حكمه. فإنهم يأخذون من الله , سبحانه , ما يأخذون من المعاني والأسرار الإلهية بخلاف الداخلون في حكمه , فإنهم لا يأخذون شيئا إلا منه).

وقد ذكرهم المستشرق الفرنساوي ماسينيون بقوله:

(ويزعم الصوفية أن العالم يدوم بقاؤه بفضل تدخل طبقة من الأولياء المستورين عددهم محدود , وكلما قبض منهم واحد خلفه غيره , ورجال الغيب هم: ثلاثمائة من النقباء , وأربعون من الأبدال , وسبعة أمناء , وأربعة عمد , ثم القطب , وهو الغوث)[١].

فهذه المراتب والترتيب والأعداد لم يأخذها المتصوفة إلا من الشيعة أيضا , وخاصة من الشيعة الإسماعيلية والنصيرية كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في رسائله وفتاواه:

(وأما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من الناس والعامة مثل الغوث الذي يكون بمكة , والأوتاد الأربعة , والأقطاب السبعة , والأبدال الأربعين , والنجباء الثلاثمائة , فهذه الأسماء ليست موجودة في كتاب الله , ولا هي أيضا مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد صحيح ولا ضعيف محتمل , إلا لفظ الأبدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن فيهم - يعني أهل الشام - الأبدال أربعين رجلا , كلما مات رجل أبدله الله مكانه رجلا: ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذه الترتيب .... وهذا من جنس دعوى الرافضة أنه لا بد في كل زمان من إمام معصوم يكون حجة الله على المكلفين لا يتم الإيمان إلا به , ثم مع هذا يقولون: أنه كان صبيا دخل السرداب من أكثر من أربعمائة وأربعين سنة , ولا يعرف له عين ولا أثر , ولا يدرك له حس ولا خبر.

[١]. المصدر السابق.ص. ٢٣٣. ونقل الشيخ من " التصوف لماسنيون ترجمة عربية .ص. ٤٥،٤٧

وهؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم معناها للرافضة من بعض الوجود , بل هذا الترتيب والاعتداد يشبه من بعض الوجوه ترتيب الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم في السابق والتالي والناطق والأساس والحدّ وغير ذلك من الترتيب الذي ما أنزل الله به من سلطان).

وبذلك قال ابن خلدون في هذا الخصوص , والمسائل الأخرى التي ذكرناها بأن المتصوفة أخذوها من التشيع , فيقول:

(إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه وملأوا الصحف من مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن عربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والنجم الإسرائيلي في قصائدهم وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول وإلهية الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول في القطب ومعناه رأس العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتاب الإشارات في فضول التصوف منها فقال جل جناب الحق أن يكون شرعه لكل وارد أو يطلع عليه إلا الواحد بعد الواحد وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي وإنما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ما تقوله الرافضة ودانوا به ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء)[١].

هذا وقد اقر بذلك أحمد أمين المصري , فكتب: (أن الصوفية اتصلت بالتشيع اتصالاً وثيقاً , وأخذت فيما أخذت عنه فكرة المهدي , وصاغتها صياغة جديدة وسمته (قطبا) , وكونت مملكة من الأرواح على نمط مملكة الأشباح , وعلى رأس هذه المملكة الروحية القطب , وهو نظير الإمام أو المهدي في التشيع , والقطب هو الذي (يدبر الأمر في كل عصر , وهو عماد السماء , ولولاه لوقعت على الأرض) , ويلي القطب النجباء , قال ابن عربي في الفتوحات المكية: (وهم اثنا عشر نقيباً في كل زمان , لا يزيدون ولا ينقصون , على عدد بروج الفلك الاثني عشر , كل نقيب عالم بخاصية كل برج وبما أودع الله تعالى في مقامه من الأسرار والتأثيرات ... وأعلم أن الله تعالى قد جعل بأيدي هؤلاء النقباء علوم الشرائع المنزلة , ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها , ومعرفة مكرهات وخداعها , وإبليس مكشوف عندهم , يعرفون

[١]. مقدمة ابن خلدون الفصل الحادي عشر في علم التصوف .ص. ٤٧٣ .ط,القاهرة.

منه ما لا يعرفه من نفسه , وهم من العلم بحيث إذا رأى أحدهم وطأة شخص في الأرض علم أنها وطأة سعيد أو شقيّ مثل العلماء بالآثار والقيافة).

وأما من أراد مقارنة هذه المراتب بالمراتب الإسماعيلية فليرجع إلى كتاب(الإسماعيلية القدامى تاريخ وعقائد) الباب السابع منه (ماهية الدعوة الإسماعيلية ونظامها).

ولا بأس من إيراد عبارة عن القاضي الإسماعيلي النعمان بن محمد المغربي , ذكر فيها أصحاب المراتب العليا , فيقول:

(والحدود السفلية هم: **الأسس , الأئمة , والحجج , والنقباء , والأجنحة**)[١].

ومثل ذلك ذكر الداعي الإسماعيلي حميد الدين الكرماني في كتابه راحة العقل.

[١]. المصدر السابق. ص. ٢٣٥،ونقل الشيخ من " أساس التأويل للنعمان القاضي المغربي .ص. ٧٠ ، ٧١.

الفصل الخامس : الخلوات الصوفية وشروطها

الخلوات الصوفية وشروطها

أورد الفوتي في رماحه المعوجة، إيضاحات كثيرة لهذه الخلوات الصوفية تحتاج إلى دراسة مستقلة، ولئلا يفوت القارئ بعض أخبارها فإنني سأكتفي بإيجاز بعض ما قرره فيها كهنة الصوفية، الذين أسهموا بجهد كبير في تنويم الأمة الإسلامية وتأخرها، وتخدير كل عرق نابض فيها حتى وصلت إلى ما وصلت عليه، ومما لا يزال أقوى شاهد على تلك الجهود ما هو حاصل بين المسلمين في عصرنا الحاضر.

الدليل على الخلوات الصوفية حسب زعمهم:

يستدلون بما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أول ما بدئ برسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد الليالي ذوات العدد - ... " إلخ الحديث [١] .

يقول الفوتي:

"فهذا الحديث المنبئ عن بدء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأصل في إثبات المشائخ للخلوة لمريد من الطالبين"[٢].

والجواب:

١- أن هذا الحديث بينه وبين الخلوة الصوفية فراق لا لقاء معه، فإن خلوة الرسول صلى الله عليه وسلم إنما كانت لتحبيب الله عز وجل له ليهيئه لحمل الأمانة العظمى.

٢- كانت قبل أن يؤمر بتبليغ الناس الدين الإسلامي،

٣- لم يأمر بها النبي صلى الله عليه وسلم ولا أشار إليها ولا استحسنها لأمته على الطريقة الصوفية.

٤- لم يفعلها أحد من الصحابة ولا من بعدهم من التابعين لهم بإحسان.

٥- أنها تنافي ما هو ظاهر من الشريعة الإسلامية، بالاكتساب وبدعوة الناس ومخالطتهم، إلى غير ذلك من الأجوبة التي يدركها طلاب العلم.

---

[١]. صحيح البخاري . ٢٢/١

[٢]. فرق معاصرة .ص. ٨٠١، ج. ٢. ، ونقل الشيخ من " ما كتبه الفوتي . ص. ١٦١-١٦٨.

والخلوة الصوفية بدعة مستحدثة، وليس فيها أي نفع لا للشخص ولا للمجتمع، يخرج منها مظلم الفكر محلاً للوساوس نافراً عن الناس.[١]

شروط الخلوة الصوفية:

ذكر الفوتي ستة وعشرين شرطاً لصحتها نذكرها باختصار، وللقارئ أن يلاحظ أثناء عرضها مدى تغلغل الأفكار المخالفة للإسلام فيها، من بوذية وهندوسية ونصرانية وغير ذلك:

١- أن يعود نفسه قبل دخولها إذا أراد الشروع، السهر والذكر وخفة الأكل والعزلة.

٢- أن يكون دخول الخلوة بحضور الشيخ ومباركته له وللمكان أيضاً.

٣- أن يعتقد في نفسه أن دخوله الخلوة إنما هو بقصد أن يستريح الناس من شره.

٤- أن يدخلها كما يدخل المسجد مبسملاً متعوذاً بالله تعالى من شر نفسه، مستعيناً مستمداً من أرواح مشايخه بواسطة شيخه المباشر.

٥- أن يدخل الشيخ الخلوة ويركع فيها ركعتين قبل دخول المريد ويتوجه إلى الله تعالى في توفيق المريد.

٦- أن يعتقد عند دخوله الخلوة أن الله تعالى ليس كمثله شيء، فكلما يتجلى له في خلوته من الصور، ويقول له: أنا الله، فيقل: سبحان الله! آمنت بالله.

٧- ألا يتلهف كثيراً على كثرة ظهور الكرامات.

٨- أن يكون غير مستند إلى جدار الخلوة ولا متكئاً على شيء، مطرقاً رأسه تعظيما لله تعالى، مغمضاً عينيه، ملاحظاً قوله تعالى: أنا جليس من ذكرني، ثم يجعل خيال شيخه بين عينيه، فإنه معه وإن لم يره المريد.

٩- أن يشغل قلبه بمعنى الذكر على قدر مقامه، مراعياً معنى الإحسان وهو أن تعبد الله كأنك تراه

١٠- أن يداوم الصوم؛ لأنه يؤثر في تقليل الأجزاء الترابية والمائية فيصفو القلب.

١١- أن تكون الخلوة مظلمة لا يدخل فيها شعاع الشمس وضوء النهار، فيسد على نفسه طرق الحواس الظاهرة، وسد طرق الحواس الظاهرة شرط لفتح حواس القلب.

١٢- دوام الضوء لتلألأ الأنوار فيها بعد ذلك.

١٣- دوام السكوت إلا عن ذكر الله تعالى إلا عند الضرورة القصوى فيتكلم بحذر شديد أن يزيد.

١٤- أن تكون الخلوة بعيدة عن حس الكلام وتشويش الناس عليه.

---

[١]. فرق معاصرة .ص. ٨٠٢ ، ج.٢.

١٥- كونه إذا خرج للوضوء والصلاة يخرج مطرقاً رأسه إلى الأرض غير ناظر إلى أحد، ويحذر كل الحذر نظر الناس إليه، مغطياً رأسه ورقبته بشيء؛ لأنه ربما يحصل له عرق الذكر فيلحقه الهواء فيضره.

١٦- أن يحافظ على صلاة الجمعة والجماعة - وإن وجد نفقة فليتخذ له شخصاً يصلى معه في خلوته؛ أي بالإيجار.

١٧- المحافظة على الأمر الوسط في الطعام لا فوق الشبع ولا الجوع المفرط.

١٨- ألا ينام إلا إذا غلبه النوم بأن تشوش عليه الذكر.

١٩- نفي الخواطر عن نفسه خيره كانت أم شريرة.

٢٠- دوام ربط القلب بالشيخ بالاعتقاد والاستمداد على وصف التسليم والمحبة، والاعتقاد التام بأنه لا يصل إليه أي خير إلا من قبل شيخه المباشر، ومتى غاب فكره عن الشيخ فقد خسر الصفقة.

٢١- ترك الاعتراض عن الشيخ؛ لأنه أعلم بمصالحه وأكبر عقلاً وأعظم؛ لأنه بالغ مبلغ الرجال بخلاف المريد.

٢٢- أنهم في أثناء خلوتهم لا يفتحون أبواب خلوتهم لمجيء الناس وزيارتهم والتبرك بهم، وإياك وتلبيسات النفوس وخداع الشيطان بالإلقاء فيك أن هذا الشخص يهتدي بك وبكلامك وينتفع بملاقاتك في الدين، فإنها من شبكات مكر اللعين.

٢٣- أنه إذا شاهدوا أشياء تقع لهم في اليقظة أو بين النوم واليقظة فلا يستقبحون ذلك ولا يستحسنونه، بل يعرضون ذلك على الشيخ وهو يتصرف بعد ذلك.

٢٤- دوام الذكر والأذكار حسب ترتيب الشيخ لها.

٢٥- الإخلاص وحسم مادة الرياء وطلب السمعة بالكلية.

٢٦- ألا يعين مدة يخرج بعد كمالها، فإن النفس يصير لها بذلك تطلعإلى انقضاء المدة، بل يدخلها وهو يحدث نفسه بأنه قد انتهى من الحياة ودخل القبر.

هذه أهم الشروط التي لفقها علماء التصوف مثل حرازم الفوتي والسهروردي والشيخ نجم الدين البكري وغيرهم من عتاة التصوف.[١]

[١]. فرق معاصرة . ص. ٨٠١-٨٠٦.

الفصل السادس: الخضوع لأقطاب التصوف

الخضوع لأقطاب التصوف :

يجب الخضوع التام لأقطاب التصوف وترك الأفكار عليهم في أي شيء، يقول الفوتي في كتابه: "رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم"

هامش جواهر المعنى:

"اعلم أن المنكر على الأولياء ساقط من عين الله وهالك في الدنيا والآخرة وأنه في لعنة الله ومحاربته" ، ويقصد بأولياء الله هنا أقطاب التصوف.

فليعتصم المريد بشيخه وليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ البحر بالقائد، بحيث يفوض أمره إليه بالكلية، ولا يخالفه في ورد ولا صدر، ولا يبقى في متابعته شيئاً ولا يذر، وليعلم أن نفعه في خطأ شيخه لو أخطأ، أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب ، إلى أن قال: "ولا اعتراض بأن يكون بين يديه كالميت بين يدي غاسله، وقد قال من قال لشيخه: لمَ؟ فإنه لا ينتفع به"[١]

آداب المريد للشيخ:

ولعل في ذكر الآداب التي ينبغي على المريد أن يمتثلها، أقوى تصوير لمدى هيمنة شيوخ الصوفية على أتباعهم، ومدى الغبن والذل اللذين يلحقان بأولئك القطعان من أتباع رهبان الصوفية، وقد ذكر الفوتي منها ما يلي:

١- تعظيم الشيخ وتوقيره ظاهراً وباطناً، وعدم الاعتراض عليه في شيء فعله، ولو كان ظاهره أنه حرام، وعدم الالتجاء لغيره من الصالحين.

٢- ألا يقعد وشيخه واقف.

٣- ولا ينام بحضرته إلا بإذنه، في محل الضرورات، ككونه معه في مكان واحد.

٤- ألا يكثر الكلام بحضرته ولو باسطه.

٥- وألا يجلس على سجادته.

٦- ولا يسبح بسبحته.

٧- ولا يجلس في المكان المعد له.

٨- ولا يلج عليه في أمر.

٩- ولا يسافر.

---

[١]. فرق معاصرة . ص. ٧٧٩.

١٠- ولا يتزوج.

١١- ولا يفعل فعلاً من الأمور المهمة إلا بإذنه.

١٢- ولا يمسك يده للسلام ويده مشغولة بشيء، كقلم أو أكل أو شرب، بل يسلم بلسانه، وينظر بعد ذلك ما يأمره به.

١٣- ولا يمشي أمامه ولا يساويه، إلا بليل مظلم، ليكون مشيه أمامه صوناً له عن مصادمة ضرر.

١٤- وألا يذكره بخير عند أعدائه، خوفاً من أين يكون وسيلة لقدحهم فيه.

١٥- وأنه يحفظه في غيبته كحفظه في حضوره.

١٦- وأنه يلاحظه بقلبه في جميع أحواله سفراً وحضراً لتعمه بركته.

١٧- وألا يعاشر من كان الشيخ يكرهه، أو من طرده الشيخ عنه.

١٨- وأن يحب كل من أحبه الشيخ، ويكره كل من يكرهه الشيخ.

١٩- وأن يرى كل بركة حصلت له من بركات الدنيا والآخرة فببركته.

٢٠- وأن يصبر على جفوته وإعراضه عنه.

٢١- وأن يحمل كلامه على ظاهره فيمتثله إلا لقرينة صارفة.

٢٢- وألا يتجسس على أحوال الشيخ من عبادة أو عادة، فإن في ذلك هلاكه.

٢٣- وألا يدخل عليه خلوة إلا بإذن.

٢٤- ولا يرفع الستارة التي فيها الشيخ إلا بإذن وإلا هلك.

٢٥- وألا يزور الشيخ إلا وهو على طهارة، لأن حضرة الشيخ حضرة الله تعالى.

٢٦- وأن يحسن الظن به في كل حال. ,

٢٧- وأن يقدم محبته على محبة غيره ما عدا الله ورسوله.

٢٨- وألا يكلفه شيئاً، حتى لو قدم من سفر لكان هو الذي يسعى ليسلم على الشيخ، ولا ينتظر أن الشيخ يأتيه للسلام عليه.

٢٩- وألا يكتم عن الشيخ شيئاً مما يخطر له.

٣٠- وألا يعترض عليه فيما يكون منه.

٣١- وألا ينظر في أفعال الشيخ، ولا يعتدى أمر شيخه، ولا يتأول عليه كلامه.

٣٢- ولا يطلب علة للأمر الذي يأمره به، بل يبادر إلى امتثال ما أمره به، سواء عقل معناه أو لم يعقل.. ومتى تأول على الشيخ ما أمره به، أو يقول: تخيلت أنك أردت كذا، فليعلم أنه في إدبار، فليبك على نفسه.

٣٣- ولا يلبس ثوباً لبسه شيخه إلا إذا كساه الشيخ إياه.

٣٤- ولا يسأله عن شيء سؤال من يطلب الجواب منه، بل يجب عليه أن يقص ما وقع له، فإن أجابه كان وإلا فلا، وإن وصف ذلك على أن يجيب الشيخ فقد جعله سؤالاً، وإذا جعله سؤالاً فقد أساء الأدب.

٣٥- ولا يخون شيخه في أمر مأمور به.

٣٦- ومن شرط المريد أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل، إن غسل عضواً من أعضائه قبل آخر أو حركه أو تصرف فيه كيف يشاء، فلا يخطر عليه خاطر اعتراضه.

٣٧- ولا يجلس بين يديه إلا مستوفزاً كجلوس العبد بين يدي سيده.

وذكر شروطاً إلى أن قال:

٣٨- ولا يقعد مقعداً حيث كان إلا ويتيقن أن الشيخ يراه، فليلزم ذلك.

٣٩- ولا يديم النظر إليه، فإن ذلك يورث قلة الأدب والحياء، ويخرج الاحترام من القلب.

٤٠- ولا يكثر مجالسته.

٤١- ولا يقضي لأحد حاجة حتى يشاوره فيها.

٤٢- وإن طلق امرأة فمن الأدب ألا يتزوجها.

٤٣- ولا يدخل عليه متى دخل عليه إلا قبل يديه وأطرق.

٤٤- ويتحبب إليه بامتثال أمره ونهيه.

٤٥- وليكن حافظاً شحيحاً على عرضه.

٤٦- وإذا قدم إليه طعاماً فليلقه أمامه بجميع ما يحتاج إليه، وليقف خلفالباب فإذا دعاه أجابه وإلا فليتركه حتى يفرغ، فإذا فرغ أزال المائدة، فإن بقي شيء من طعامه وأمره بالأكل فليأكل، ولا يؤثر بنصيبه أحداً.

٤٧- ويجتهد ألا يراه إلا فيما يسره، ولا يتمن عليه، وليحذر مكر الشيوخ فإنهم يمكرون بالطالب، فليحافظ على أنفاسه في الحضور معه.

٤٨- ومن شرط المريد ألا يرد على الشيخ كلامه، ولو الحق بيد المريد.

٤٩- الاعتراض على الشيخ حرام على المريدين وقوعه، فهذا مريد مسخر للشيطان.

٥٠- ومن شرط المريد إذا وجهه شيخه في أمر أن يمضي لأمره، من غير تأمل ولا توقف ولا يصرفه عنه صارف، حتى قال بعض الشيوخ لبعض المريدين: أرأيت لو وجهك شيخك في أمر فمررت بمسجد تقام فيه الصلاة، فما تصنع؟ فقال: امضي لأمر الشيخ ولا أصلي حتى أرجع إليه، فقال له: أحسنت.

٥١- ومن شروط المريد الوفاء بكل ما يشترط عليه الشيخ سواء كان صعباً أو سهلاً، وليس للمريد أن يعترض على الشيخ في شيء ... فإنهم قالوا: الاعتراض على الشيوخ سم قاتل.

وإن رأيت من الشيخ ما يتراءى عندك أنه غير مشروع فاتهم نفسك.

الولي ينظر إلى باطن المريد ولا عبرة عنده بظاهره.[١]

ولقد تركت ذكر آداب وشروط كثيرة واجبة لمشائخ الصوفية بإيجاب النبي صلى الله عليه وسلم لها، على حد افتراء هؤلاء الكاذبين سراق عقول البشر، الذين لا يهمهم أن يدوسوا كرامة الإنسان بأرجلهم.

[١]. فرق معاصرة.ص. ٧٨١- ٧٨٤

الباب الثاني : طرق التصوف

الفصل الأول : مبدأ تاريخ الطريقة الصوفية.

الفصل الثاني : مبدأ تاريخ نشأة الطريقة الصوفية في سريلانكا.

الفصل الثالث : أقسام المتصوفة وذكر طرقهم.

المبحث الأول : الطريقة الشاذلية.

المبحث الثاني : الطريقة الرفاعية.

المبحث الثالث : الطريقة النقشبندية.

المطلب الأول : الطريقة النبوية القادرية.

المبحث الخامس : ظهور عقيدة وحدة الوجود في سريلانكا.

المطلب الأول : طريقة المفلحين.

الفصل الرابع : أعلام الصوفيين

الباب الثاني : طرق التصوف

الفصل الأول : مبدأ تاريخ الطرق الصوفية.

الطريقة لها مكانة عالية في تاريخ الصوفية ولم تكن هذه معروفة في أول الإسلام وأخذت تحصل حيث كانت الصوفية فكرة فذة منتشرة على حين أن الضغوط السياسي وضلال المجتمع قد فاقا حتى تشعبت فرق الطريقة في القرن الثامن بعد الهجرة.

والطريقة نشأتها كانت لهداية البشر ومثلت الطريقة ذات آراء دقيقة زهادية للحصول عليها وإدراكها ، وعلى هذا الأساس يمكن المعرفة بأن الطريقة كانت في مرور العصر بابا للذين يريدون حياة الصوفية وهداية للبشرية كيف تكون معرفة الإنسان ربه ؟والذي يتبين للمتأمل في نشوء الطريقة ، أن الصوفية لها نفوذ كبير ،لأن العديد من الناس دخلوا فيها ، ولهذا أراد علماء الصوفيين أن يختارها صوفية بتعريف وجه مما أدى إلى أن كان اللاحقون بهذه الطريقة يتعرضون لتجاوز بعض الخطط لعلماء الصوفيين حتى نشأت مائة وخمس وعشرون طريقة،فحري بكل من يريد اللحوق بهذه الطريقة أن يكون عارفا عن أحوال الشيخ الذي يريد الالتحاق بطريقة له بشرط أن يكون عالما ذا أدب محسنا للأمور الأعجمية في الفلسفة ، وغير طامع أعراض الدنيا والجاه والمناصب العالية ، وقليل الأكل والكلام مكثرا من الصلاة ومتصدقا وصابرا ومتوكلا على الله ذا حلم ووحكمة ووقار ، بعيدا عن العجب والغضب والحسد والطمع والجهل.

فعلى الداخل في أي طريقة شاء أن يختار شيخا متصفا بهذه الصفات ويصالحه على كونه مريدا في تلك الطريقة . وبعد ذلك يعلّمه الشيخ بعض الأذكار حيث أمره بالمحافظة عليه بعد أن عرف الشيخ من إرشاد مريده إلى ما يراه من الخير والصلاح .

ويعلمه أيضا حيث تمثل لديه في الرؤيا عند عدم القدرة على زيارته حتى انتظر الشيخ من مريده أن يكون مطيعا له في كل شيئ ، وعلى هذا الاساس ينبغي للمريد أن يطيع أوامر شيخه ، مما يؤدي إلى أن يكون المريد لدى الشيخ مطيعا، وبهذا يتمكن المريد من الاستسلام عند الله ورسوله ، وفي هذه الحالة قد يقع ذكره وتربيته التغيير والتفوق ، وهذه هي المكانة الوحيدة لهذه الطريقة ، ويؤتي الشيخ مريده الخلافة بعد أن نال هذه الدرجة .

وينبغي للمريد الذي ينال الخلافة الخلاءُ ، والاستغفار ، وطاعة الشيخ في كل شيئ ،والتقشف في الحياة ،والتمسك بالصبرعلى حين أنه يكثر من ذكر الله في كل يوم مما يؤدي إلى الحصول على العبودية والحس والتواضع حتى يدرك الطريقة ، والمعرفة واالحقيقة حتى تصيبه التحلية ، وبهذا يستطيع أن يعرف

الحقائق بالإلهام ، وصاحب الطريقة دائما يحاول الحصول على رضا الله ، ويجب عليه أن يكون مستعدا للنهوض بالأمور الصوفية ،ولا يستطيع احد القيام بهذه الأشياء والمحافظة عليها سوى المتصفين بهذه الصفات المحمودة .

ويمكن لنا أن نعرف عبر التاريخ الإسلامي نشوء أكثر من مائة وخمس وعشرين طريقة منذ عصره الأول . ، وعلى هذا يمكن المعرفة بأن مجموعة الطريقة أخذت تحدث في القرن الخامس بعد الهجرة على حين أن بعضها حدثت في القرن الأول ، والعلماء الذين يذكرون هذه الآراء يشيرون إلى أن محمدا صلى الله عليه وسلم أول معلم في مراحل الطريقة والثاني أبو بكر رضي الله عنه.

فأول من نظم الأمور الأصلية في الطريقة الإمام الحسن البصري رحمه الله ، وكان عالما تقيا ،قد أخذ العلم عن مائة وثلاثين صحابيا ، وأخذ عنه العلم العديد من الناس لعلمه وخشيته لله ، ومن أشهرهم عبد الواحد وحبيب الدجلي وهما ممن لعب دورا واسعا في تطوير طريسقة الشيخ الحسن البصري رحمه الله ، وأنشأ عبد الواحد الطريقة المعروفة بالزيدية والآخر الحبيبية ، وعلى امتداد الزمان أخذت طريقة يتفرع منها أكثر ،ومن أهمها الجنيدية ، والجلبية ، والنقشبندية ، والقادرية ، والشاذلية ، والمولوية .

وكانت الطريقة تقوم بأعمال تسحر قلوب الناس مثل أن كان من الجشتية الأناشيد ومن المولوية الرقص ومن الشاذلية أيضا، ومن الرفاعية ضرب الدفّ وغيرها.

وصارت الطريقة ذات قوة عظيمة بجهد من أتى من خلف المحدثين للطريقة ، ومما يجدر بالذكر هنا أن الخليفة فاسي الذي له نفوذ عظيم أحدث الفرقة الفاسية وفي الطريقة القادرية ، والعروسية ، والعلوية ، والصالحية .

وبالجملة قد كانت الطريقة قد أحدثت عدة فساد بتضليل المجتمع على حين أنها من جانب آخر أعانت الناس على الالتزام بتقوى الله ورضاه إلى حد أنها تكاد تستصغر الشرع حيث تفضح الكبارالكرام والعلماء ، مما أدى إلى كون الوضع الزماني يحتاج إلى الشريعة أكثر مما يحتاج إلى الطريقة.

الأسباب التي أدت إلى فساد الطريقة.

- ✓ وجود الطريقة في المشايخ غير اللائقين بالاعتناء بها.
- ✓ غلب أغراض الدنيا وفواقها .
- ✓ سمو الطريقة بقهرها كما هو قهر المذهب.
- ✓ تدخل أعداء الإسلام وحيلتهم[١]

[١]. المترجمة والمأخوذ من الموقع التامل.

الفصل الثاني : مبدأ تاريخ نشأة الطريقة في سريلانكا.

مبدأ تاريخ نشأة الطريقة في سريلانكا.

قبل الدراسة حول إطار نشأة الطريقة كان من الجدير تقديم بعض النقاط تحت عنوان انتشار الإسلام في سريلانكا .

كانت العلاقات عند العرب في سريلانكا قبل ولادة الرسول الأخير محمد صلى الله عليه وسلم التي كانت عام خمس مائة وسبعين بعد المسيح بقرون كثيرة ، وكانت في أيادي العرب تجارة الخارجية مع دولة سريلانكا قبل ولادة المسيح مما أدى إلى تفشي الإسلام في أنحاء سريلانكا ,

ويمكن المعرفة عبر آراء المؤرخين مثل "بالادوري" (baaladoory) "أن الإسلاام انتشر في سريلانكا بعد مائة سنة من دعوة محمد صلى الله عليه وسلم" ويصف الكاتب الشهير" سير ايلكساندر" (sir,alecsandar) باستيطان المسلمين في سريلانكا كما يلي:

"وأول من جاور بسريلانكا قبيلة بني هاشم حيث أخرجوا من الجزيرة العربية في نظام عبد الملك ابن مروان واستوطنت طائفة منهم في بعض المناطق بسريلامكا مثل جافنا، وبوتالام ، وكولومبو ، وبيروولا، وجول..

ومما يتضح عبر التاريخ أن هذه الاستيطانات أدت إلى انتشار الإسلام في سريلانكا. ووجد المسلمون العنوان السياسي عام ألف وثمانمائة وتسعة وثمانين (١٨٨٩م) رغم أنهم عاشوا بسريلانكا منذ ألف ومائتين سنة، وأدى نيل الشيخ عبد الرحمن (m.c) منصب الرئاسة في المجلس الحكمي إلى أن حاز المسلمون على الاعتراف السياسي، وكان قد تزوج من امرأة اسمها خديجة من أسرة الشيخ إسماعيل ابن عز الدين اليمنيالذي عاش في وليجاما () ومات سنة (١٨٤٦م) .

وبعد ظهور الإسلام بقرون أخذت الطريقة تفشو أيضا ،ونشأت الطريقة في شبه القارة بالهند منذ عام ألف ومائتين بعد الميلادي ، وبعد ذلك دخلت في مجال التعليم والثقافة كقوة كبيرة ، وقال مؤرخ الشهير "ايدود كبّر" (advet kippar) في أوربا. "إن الصوفية كانت حاوية ممعها أمور التعليم والمجتمع" مما يتضح لنا أنها نشأت بسريلانكا منذ تسع مائة سنة ،ومما يشق على الباحث عن الطريقة معرفة نشأة الطريقة في سريلايكا وقدومها ، ومن المؤسف عدم اعتناء التاريخ بمبدإ تاريخ الطريقة كما عني بكتابة شؤون الصوفيين ومآثارهم العالية.

وكجدير بالذكر هنا يقدم في هذا المجال كدراسة دقيقة بعض الأخبار حول عنوان نشأة الطريقة ومجيئ الصوفيين إضافة إلى أن من الواجب معرفة الجواب الصحيح بثقتها.

ومن الكاتبين من يزعم أن عبد القادر الجيلاني رحمه الله مكث في جيلاني – الذي يتواجد على بعد ثلاثة وعشرين كم من راتنابورا(rathnapura) – عندما زار بسريلانكا لزيارة جبل آدم (Adam's peak) ولكن لم يعرف شيئ من زيارته لسريلانكا ولم يتيقن الأخبار زيارة عبد القادر الجيلاني رحمه الله ، وزار عبد القادر جيلاني رحمها الله مالايتيو (Maldews) دولة على بعد ستمائة كم من سريلانكا ، ودعا أهلها إلى الإسلام قبل ٩٠٠ سنة ، حتى يراها مسلمو سريلانكا بعين الوقار والتعظيم ، وكانت زيارته لسريلانكا فد أدت إلى توسع العلاقات بينها وبين سريلانكا .

وأخبر المصادر المطلعة أن العلماء حضروا دولة سريلانكا لزيارة جبل آدم ، وكان ابن بطوطة قد قام بزيارة لسريلانكا سنة ١٣٤٧ بعد المسيحي، وهو ممن عاش منذ سنة ١٣٠٤-١٣٧٧ بعد المسيحي ، وسمى سريلانكا بـ "سيلان " (ceylon) حيث رأى أنهارا كثيرا ومعناه شيئ سائل ، وأخبر أيضا أنه أتى سريلانكا لزيارة جبل آدم عند ذكرها ، وأشار أحد المدرسين في الجامعة الحكومية بـ" بيرادانيا " (peradeniya) عندما قام بدراسة تحت عنوان " تعليم المسلمين وسياستهم" إلى أن ابن بطوطة قال : " إن سريلانكا دولة مليئة بالاستيطانات في شتى أنحائها . والشارع الذي نحو جبل آدم مرمّم بمساعدة المسلمين ورايت في أكثر الأنحاء مساجد المسلمين ويسالمهم البوذ ،وينظرون إليهم يعين الوقار والتعظيم.

وقد مثل تاريخ الشيخ " باوا الكوفي " أحد الصوفيين الإسلاميين ذا دلالة عظيمة لانتشار الصوفية في سريلانكا ، وهذا التاريخ بدأ منذ عصر قدوم الشيخ الذي ضريحته في كامبولا (gampola) . وقام هذا الشيخ بزيارة لسريلانكا قبل أن زارها ابن بطوطة بثلاث سنوات ، ومن الجدير بالذكر أن حاكم سريلانكا في ذلك العصر سمح لهذا الشيخ بأن تُبني ضريحته في ذلك المكان مما أدّى إلى بقائها حتى الآن .

هذا ، وتاريخ أشرف ولي الله المسمى " سلطان الأولياء " الذي زار سريلانكا قبل ٧٥٠ سنة مثل باوا الكوفي رحمه الله يتعلق بتاريخ الصوفيين بسريلانكا ، وهو ممن جاور بحضرموت باليمن. وضريحته في "دارجاتون"(dhargatown) وكان قد حضر معه بعض الإخوان ومثل ذلك المكان موضعا قويا للمسلمين المسمى بـ " كيشمالا" (kechimala) ببيروالا. على حين أنه يقرأ فيه صحيح البخاري وصحيح المسلم منذ ١٣٠ سنة .

هذا ، والشيخ شاه الحميد قام بزيارة لسريلانكا ويوجد له أيضا ضريحة واسمه الكامل الشيخ ميران عبد القادر رحمه الله ويناديه أهل " أودونورا " (udunuwara) ميران صاحب . ويشير التاريخ إلى أن هذا الشيخ الذي ولد في الهند قام بزيارة سريلانكا لزيارة جبل آدم حيث خرج في أربع مائة شخص . وألف المحمود عالم له كتابا فيه أنشودات تمدحه وتحكي زيارته لسريلانكا .

ومن عادات بعض المسلمين في شتى أنحاء سريلانكا قراءة قصته وإعداد مناسبة مأدبة له إذا أتاهم شهر جمادى الأولى ، ويذكر أيضا أنه مكث بعض الأيام في أحد المساحد في كولومبو.

ونرى في عصرنا الحاضر أن مسجد "ميران مقام " الذي بني سنة ١٨٥٥ م مبني بجوار ضريحة هذا الشيخ ، وكان ممن لعب دورا واسعا في تطوير الصوفية مثل القادرية ، والجشتية ، والشهروردية ، والنقشبندية ، ومثّل مسجد "ميران مقام " مسجدا أصليا للصوفيين منذ عصره الأول. وقد أشاد شخصيات مرموقون بجهوده ومهامه حيث أن الحكام البوذيين نوّهوا بها. ولهم عدة أناشيد.

ونرى ألوفا من الناس يأتون ضريحة هذا الشيخ لزيارته لكي يجدزا منه الرحمة ومنهم من هو ذو ديانات أخرى. ويمكن لنا أن نعرف عبر التاريخ تجاوز علاقات الصوفيين بسريلانكا القرون الثامنة. .

وتنقسم فرق الطريقة التي تطورت ونمت تحت اعتناء الصوفيين إلى قسمين:

أحدها : ما عرف من البلاد العربية والفارسية من فرق الطريقة.

والثاني: ما عرف من شبه قارة الهند .

ويتضح لنا نمو فرق الطريقة التي لها مكانة عالية خلال تسعة قرون الماضية وعصرها الذهبي ابتدأ منذ سنة ١٧٠٠م.

هذا، ونرى تطور نمو الطريقة في بلاد أخرى بعد هذه العصور وهذه الطريقة أسهمت في تحري الحاجات البشرية في المستقبل رغم أنها هدتهم بمجالس الذكر وحلقهم . ومن أهمها الشاذلية ، والنقشبندية ، والقادرية ، والرفاعية ، والجشتية ، و العلوية ، والنبوة.

وبهذه الدراسة يمكن معرفة تاريخ الجتمع الماضي ، وقال الشيخ العلامة محمد إقبال رحمه الله وهو أحد الفلاسفة " إن نور المجتمع وضوئه في تاريخ القديم ، ويبلغ مدى سموه بتذكره والتفكير فيه ، وإذا نسي تاريخه الماضي وقع في الخسارة والندم.

ونرى هذا الزمان أن العلماء الصوفيين الذين وجهوا الناس في سريلانكا بأساليبهم للطريقة ومن خلفهم ممن قفوا أثرهم في جميع أساليب الطريقة ماتوا في أرض سريلانكا وبنيت لهم الضرائح . وأكثرهم دفنوا بجوار بعض المساجد في سريلانكا . ورغم غيابهم يقولون سنّ مسلمي سريلانكا وتاريخهم كأنهم أحياء .

ومن الجدير بالذكر هنا أن بعض الضرائح قد مر عليها قرابة ٧٥٠ سنة ، ويسمي المسلمون في سريلانكا هذه الضرائح بـ " زيارة " ومعنى الزيارة إتيان القبور وتقديم الحوائج لديهم ، فمن المولم حقا أن مثل هذا التاريخ لم يسجل حتى يعجز عن معرفته الجيل الجديد.[١]

[١] مترجمة من cLEtiu K];yPk;fs; tho;tpy;]{gpj;Jt juPfh.

الفصل الثالث: أقسام المتصوفة وذكر طرقهم

الصوفيون طوائف عديدة وأهواء متباينة، شأن كل أصحاب البدع حين يتركون المنهج الذي شرعه الله لعباده.

ولقد اختلف العلماء في عدهم لأقسام وطرق التصوف اختلافاً واسعاً؛ إذ تجد بعضهم يعدهم قسمين، وبعضهم يعدهم ثلاثة أقسام، وبعضهم يوصلهم إلى ستة أقسام.

وهذا الاختلاف سببه تنوع مصادر الصوفية وتنوع أفكارهم، فبعض الصوفية تابعون للمذهب الإشراقي، الذي يدعي أن المعرفة والعلم تقذف في النفس بسبب طول المجاهدة الروحية، إذ يحصل لها بذلك فيض وإشراق إلهي، ومذهبهم أشبه ما يكون بالمذهب البوذي في رياضة النفس وحملها على المكاره. هذا قسم من الصوفية.

وقسم آخر بعض العلماء يعبر عنهم بصوفية الحقائق، وهم من صفوا من الكدر وامتلئوا من الفكر كما يدعون، على طريقة الفلسفة الهندية.

وقسم آخر من الصوفية قائلون بالحلول؛ أي دعوى أن الله - تعالى عن قولهم - حل في مخلوقاته وأن أرواحهم لاهوتية وأجسامهم ناسوتية.

ومن أكابر أهل هذا المذهب الرديء الحلاج، حين قال في تفسير هذا الحلول:

سبحان من أظهر ناسوته ثم بدأ في خلقه ظاهراً
حتى لقد عاينه خلقه سر سنا لاهوته الثاقب
في صورة الآكل والشارب كلحظة الحاجب بالحاجب

وصوفية وحدة الوجود هم القائلون بأن الموجودات كلها تمثل الباري عز وجل، وفى أولهم ابن عربي وهو من المؤسسين لمذهب وحدة الوجود، يقول في تقرير ذلك في كتابه الفتوحات المكية:

العبد رب والرب عبد يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك رب أو قلت رب فأنّى يكلف

وقد قسم شيخ الإسلام الصوفية إلى ثلاثة أقسام هم:

١- صوفية الحقائق.....٢- صوفية الأرزاق .....٣-صوفية الرسم

١- صوفية الحقائق.

قال: "فأماصوفية الحقائق فهم الذين وصفناهم". ولعله يقصد بذلك ما قدم من ذكر خلاف الناس في الحكم على الصوفية والتصوف حيث قال: "ولأجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه، تنازع الناس في طريقهم، فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا: إنهم مبتدعون خارجون عن السنة ... "، قال: وطائفةغلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء.

٢- صوفية الأرزاق.

وأما صوفية الأرزاق فهم الذين وقفت عليهم الوقوف كالخوانك، فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق فإن هذا عزيز، وأكبر أهل الحقائق لا يتصدون بلوازم الخوانك ولكن يشترط فيهم ثلاثة شروط" ثم ذكرها, وهي: وجود العدالة الشرعية فيهم , والتأدب بآداب الشرع , وألا يكون متمسكاً بفضول الدنيا.

٢- صوفية الرسم.

وأما صوفية الرسم فهمهم المقتصرون على النسبة، فهمُّم في اللباس والآداب الوصفية ونحوذلك"، أي أنهم يتشبهون بالصوفية في الظاهر ويعرفون أقوالهم، ولكنهم خارجون عن طريقهم همهم جمع الأموال والاحتيال على الجهال بأمرهم.

لقد أصبح من الصعب جدا تمييز طوائف التصوف أو الحكم عليهم بحكم واحد شامل لجميع فرقهم وعقائدهم المتشعبة؛ إذ لا يمكن معرفة كل قسم من أقسام التصوف قائما بنفسهم تميزا عن غيره إلا من خلال "الطرق" الكثيرة، والتي هي تعبير عن التزام مجموعة من الأتباع أو المريدين بشيخ يجعلونه قدوتهم، وينفذون ما يوجبه عليهم من أذكار وسلوك، وقد تتفق طريقته مع بعض الطرق وقد تختلف عنها، والطرق الصوفية لم تقف عند حد أو مفهوم، فهي دائماً في ازدياد وتجدد؛ إذ كل من ابتدع طريقاً، وجد له أتباعاً يتسمون باسمه أو باسم طريقته.[١]

وأذكر في هذا الباب الطرق الصوفية التي تودج كثيرا في دولتنا سريلانكا.

[١].فرق معاصرة

المبحث الأول : الطريقة الشاذلية

وقد مر على انتشار الطريقة في سريلانكا مائة عام تقريبا. ووجدت بذلك سبيلا لتأييد السكان وبسرعة التفشي في أقل الأيام. فكان من الصواب هنا ذكر تاريخ الطريقة الشاذلية بالنظر إلى اتباعها عند الأكثر من رعايا سريلانكا.

وعرف بعض الحجاج هذه الطريق في جزيرة سريلانكا حيث تمت البيعة مع الشيخ فاسي علما بأن خليفته كامل ولي الله العلامة محمد أبي بكر وهو من منطقة الجنوب بالهند والشيخ أحمد ابن صالح اليماني وأخاه شمس الدين المكي أفشوها جميعا أولا في كولومبو.

ومن الجدير بالذكر أن في منطقة كولومبو أكثر من عشرين زواية تقريبا. وهكذا زوايا كثيرة في كندي (kandy) ، وكالوتارا (kalutara)، وبانادورا (panadura)، وبيروواﻻ (beruwala) ، وألوتجاما (aluthgama)، وجالي (galle) ، ماتارا (matara) ، تكوﻻ (dikwella)، وحانبانتوتا (hambantota) ، وليجاما (weligama) ،وبيتيكلو (baticalo) ، وكاتانكودي (kathankudy)، والاشينا (walachena) وإيراوور (earavur).

والذي يمثل من ضمن مجموعة الزوايا المركز الأوسط الزاوية المعروفة بأم زاوية في كولومبو في طريق ميسانجار (mesenjar) وكانت قد بنيت منذ مائة عام وكانت الأشراف وخلفاء هذه الطريقة تمكنوا فيها إذ زاروا سريلانكا قبل الخروج إلى أماكن أخرى .[١]

طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي، يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية، وإن كانت تختلف عنها في سلوك المريد وطريقة تربيته بالإضافة إلى اشتهارهم بالذكر المفرد "الله" أو مضمرًا "هو".

التأسيس وأبرز الشخصيات:

· أبو الحسن الشاذلي: اختلف في نسبه، فمريدوه، وأتباعه ينسبونه إلى الأشراف ويصلون بنسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب . رضي الله عنهما . كعادة أهل كل طريقة صوفية، وبعضهم ينسبه إلى الحسين، وبعضهم إلى غيره.

[١]. مترجمة وملخصة من "ஷாதுலிய்யா தரீகா வரலாற்றின் சுருக்க ஆய்வு"

. ذكره الإمام الذهبي في العبر فقال: "الشاذلي: أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار المغربي، الزاهد، شيخ الطائفة الشاذلية، سكن الإسكندرية وله عبارات في التصوف توهم، ويتكلف له في الاعتذار عنها، وعنه أخذ أبو العباس المرسي، وتوفي الشاذلي بصحراء عيذاب متوجهًا إلى بيت الله الحرام في أوائل ذي القعدة ٦٥٦هـ"، (عيذاب على طريق الصعيد بمصر).

. تتلمذ أبو الحسن الشاذلي في صغره على أبي محمد عبد السلام بن بشيش، في المغرب، وكان له أكبر الأثر في حياته العلمية والصوفية.

. ثم رحل إلى تونس، وإلى جبل زغوان، حيث اعتكف للعبادة، وهناك ارتقى منازل عالية، كما تزعم الصوفية.

. رحل بعد ذلك إلى مصر وأقام بالإسكندرية، حيث تزوج وأنجب أولاده شهاب الدين أحمد وأبو الحسن علي، وأبو عبد الله محمد وابنته زينب، وفي الإسكندرية أصبح له أتباع ومريدون، وانتشرت طريقته في مصر بعد ذلك، وانتشر صيته على أنه من أقطاب الصوفية.

. تروي كتب الصوفية كثيرًا من كراماته وأقواله البعيدة عن التصديق، التي تنطوي على مخالفة صريحة لعقيدة الإسلام وللكتاب والسنة، اللذين هما أساس دعوته كما يقول عن نفسه، ومن هذه الكرامات والأقوال:

. ينقل الدكتور عبد الحليم محمود نقلاً عن درَّة الأسرار: "لما قدم المدينة زادها الله تشريفًا وتعظيمًا، وقف على باب الحرم من أول النهار إلى نصفه، عريان الرأس، حافي القدمين، يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسئل عن ذلك فقال: حتى يؤذن لي، فإن الله عز وجل يقول: (يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تَدْخُلوا بيوتَ النبي إلا أن يؤذَنَ لكم)[١] فسمع النداء من داخل الروضة الشريفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام: يا علي، ادخل". وهذا مخالف للعقيدة. ويقول عن نفسه: "لولا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما يكون في غد وبعد غد إلى يوم القيامة" وهذا ادعاءٌ لعلم الغيب وشرك بالله تعالى.

. للشاذلي أوراد تسمى حزب الشاذلي ورسالة الأمين في آداب التصوف رتَّبها على أبواب، وله السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل وللإمام تقي الدين ابن تيمية رد على حزبه.

[١]. سورة الأحزاب (٥٣)

· أبو العباس المرسي: أحمد بن عمر المرسي أبو العباس شهاب الدين، من أهل الإسكندرية، لا يُعرف تاريخ ولادته وأهله من مرسيه بالأندلس، توفي سنة ٦٨٦هـ. ١٢٨٧م.

. يعد خليفة أبي الحسن الشاذلي وصار قطبًا بعد موته، حسب ما يقول الصوفية، وله مقام كبير ومسجد باسمه في مدينة الإسكندرية.

. قال عن نفسه: "والله لو حُجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين".

. وكان يدعي صحبة الخضر واللقاء معه.

. وكان له تأويل باطني مثل ما كان لشيخه أبي الحسن، ومثال ذلك ما ذكره تلميذه ابن عطاء الله الإسكندري: سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول في قوله تعالى: (ما نَنْسَخْ من آيةٍ أو نُنْسِها نأتِ بخيرٍ منها أو مِثْلِها)[١] أي: ما نُذهب من ولي لله إلا ونأتي بخير منه أو مثله. وهذا إلحادٌ بيّنٌ في آيات الله تعالى.

ثم خلف على مشيخة الشاذلية بعد أبي العباس المرسي ياقوتُ العرش، وكان حبشيًّا، وسمي بالعرش لأن قلبه لم يزل تحت العرش كما تقول الصوفية، وما على الأرض إلا جسده. وقيل: لأنه كان يسمع أذان حملة العرش. هذا ما جاء في طبقات الشعراني، وهو من خرافات الصوفية التي لا تقف عند حد.

الأفكار والمعتقدات:

· تشترك كل الطرق الصوفية في أفكار ومعتقدات واحدة، وإن كانت تختلف في أسلوب سلوك المريد أو السالك وطرق تربيته، ونستطيع أن نُجمِل أفكار الطريقة الشاذلية في نقاط محددة، مع العلم أن هذه النقاط كما سنرى قد تفسر لدى الصوفية غير التفسير المعهود لدى عامة العلماء والفقهاء، وهذه النقاط هي:

. التوبة: وهي نقطة انطلاق المريد أو السالك إلى الله تعالى.

. الإخلاص: وينقسم لديها إلى قسمين:

١ . إخلاص الصادقين.

[١] .البقرة

٢ . إخلاص الصِّدِّيقين.

. النية: وتعد أساس الأعمال والأخلاق والعبادات.

. الخلوة: أي اعتزال الناس، فهذا من أسس التربية الصوفية. وفي الطريقة الشاذلية يدخل المريد الخلوة لمدة ثلاثة أيام قبل سلوك الطريق.

. الذكر: والأصل فيه ذكر الله تعالى، ثم الأوراد، وقراءة الأحزاب المختلفة في الليل والنهار. والذكر المشهور لدى الشاذلية هو ذكر الاسم المفرد لله أو مضمرًا (هو هو). وهذا الذكر بهذه المثابة بدعة ، وقد مر بنا ما قاله عنه ابن تيمية بأنه ليس بمشروع في كتاب ولا سنة، وأن الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان تامًّا مفيدًا مثل: لا إله إلا الله، والله أكبر.

. الزهد: وللزهد تعاريف متعددة عند الصوفية منها:

١ . فراغ القلب مما سوى الله، وهذا هو زهد العارفين.

٢ . وهو أيضًا . عندهم . الزهد في الحلال وترك الحرام.

. النفس: ركزت الشاذلية على أحوال للنفس هي:

١ . النفس مركز الطاعات إن زَكَتْ واتقت.

٢ . النفس مركز الشهوات في المخالفات.

٣ . النفس مركز الميل إلى الراحات.

٤ . النفس مركز العجز في أداء الواجبات.

لذلك يجب تزكيتها حتى تكون مركز الطاعات فقط.

. **الورع:** وهو العمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الكامنة.

. **التوكل:** وهو صرف القلب عن كل شيء إلا الله.

. **الرضى:** وهو رضى الله عن العبد.

. **المحبة:** وهي في تعريفهم: سفر القلب في طلب المحبوب، ولهج اللسان بذكره على الدوام.

. وللحب درجات لدى الشاذلية وأعلى درجاته ما وصفته رابعة العدوية بقولها:

أحبك حبَّين: حب الهوى وحبًّا لأنك أهل لذاك

. الذوق: ويعرِّفونه بأنه تلقي الأرواح للأسرار الطاهرة في الكرامات وخوارق العادات، ويعدونه طريق الإيمان بالله والقرب منه والعبودية له. لذلك يفضل الصوفية العلوم التي تأتي عن طريق الذوق على العلوم الشرعية من الفقه والأصول وغير ذلك، إذ يقولون: علم الأذواق لا علم الأوراق، ويقولون: إن علم الأحوال يتم عن طريق الذوق، ويتفرع منه علوم الوجد والعشق والشوق.

. **علم اليقين:** وهو معرفة الله تعالى معرفة يقينية، ولا يحصل هذا إلا عن طريق الذوق، أو العلم اللدني أو الكشف ..إلخ.

· ومع ذلك فإن الشاذلي يقول بأن التمسك بالكتاب والسنة هو أساس طريقته، فمن أقواله: "إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة".

. ويقول أيضًا: "كل علم يسبق إليك فيه الخاطر، وتميل إليه النفس وتلذّ به الطبيعة فارمِ به، وإن كان حقًّا، وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم واقتدِ به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده".

· وكذلك فإن الصوفية عامة يرون . ومنهم الشاذلية . أن علم الكتاب والسنة لا يؤخذان إلا عن طريق شيخ أو مربٍّ أو مرشد، ولا يتحقق للمريد العلم الصحيح حتى يطيع شيخه طاعة عمياء في صورة: "المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي مُغسِّله" لذلك يُنظر إلى الشيخ نظرة تقديسية ترفعه عن مرتبته الإنسانية.

. **السماع:** وهو سماع الأناشيد والأشعار الغزلية الصوفية. وقد نقل عن أحد أعلام التصوف

قوله: "الصوفي هو الذي سمع السماع وآثره على الأسباب". ونقل عن الشعراني عن الحارث المحاسبي قوله: "مما يتمتع به الفقراء سماع الصوت الحسن"، و"إنه من أسرار الله تعالى في الوجود".

. وقد أفرد كُتَّاب التصوف للسماع أبوابًا منفصلة في مؤلفاتهم، لما له من أهمية خاصة عندهم.

. يكثر في السماع الأشعار التي تصل إلى درجة الكفر والشرك، كرفع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مرتبة عالية لم يقل بها أحد من أصحابه، ولا هي موجودة في كتاب ولا سنة، فضلاً عن الإكثار من الاستغاثة لا المناجاة كما يقول البعض:

يا كتاب الغيوب قد لجأنا إليك

يا شفاء القلوب الصلاة عليك

· وهناك أفكار واعتقادات كثيرة يجدها القارئ في كتب التصوف مبتدعة دخلت الفكر الإسلامي عن طريق الفلسفات اليونانية والهندية.

الجذور الفكرية والعقائدية:

كانت المذاهب الصوفية كلها عبارة عن مدارس تربوية تدعو إلى تزكية النفس وإلى الزهد في الدنيا والعمل الصالح، إلا أن هذه المدارس دخلتها الفلسفة اليونانية والفلسفة الهندية، وحتى النصرانية واليهودية وغيرها من الفلسفات، وذلك أثناء حركة الترجمة في القرن الرابع الهجري، فتأثرت الصوفية بها، وبدأ الانحراف في هذه المدارس عن الطريق الإسلامي السوي.

فقد أخذت الصوفية من الفلسفة الهندية مراحل ترقِّي الإنسان إلى الفناء أو الزفانا ، وذلك بتطهير نفسه بالجوع والزهد وترك الدنيا حتى يصل إلى السعادة الحقيقية.

وأخذت الصوفية الرهبانية من النصرانية المنحرفة، وهو الانقطاع عن الناس والعزلة عن الخلق والزهد.

ومن الفلسفة اليونانية نظرية الفيض الإلهي، والاتحاد والحلول عند بعض الصوفية.

ولو تتبع المدقق في المذاهب الصوفية لوجد العجب من المصطلحات والمعلومات البعيدة كل البعد عن تعاليم الشريعة الإسلامية الواضحة البينة

أماكن انتشار هذه الطريقة في غير سريلانكا.

مركز الشاذلي الأول هو مصر وبخاصة مدينة الإسكندرية، وطنطا، ودسوق بمحافظة كفر الشيخ، ثم انتشرت في باقي البلاد العربية. وأهم مناطق نشاطها سوريا والمغرب العربي، ولها وجود إلى الآن في ليبيا، وفي السودان في الوقت الحاضر.[١]

يتضح مما سبق:

أن الشاذلية طريقة صوفية تنتسب إلى أبي الحسن الشاذلي، وهو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف أبو الحسن الهذلي الشاذلي نسبة إلى شاذلة في المغرب بشمال أفريقيا. وتشترك هذه الطريقة مع غيرها من الطرق الصوفية في كثير من الأفكار والمعتقدات، وإن كانت تختلف في أسلوب سلوك المريد أو سالك وطرق تربيته. ومجمل أفكار هذه الطريقة: التوبة، والإخلاص، النية، الخلوة، الذكر، الزهد، النفس، الورع، التوكل، الرضى، المحبة، الذوق، علم اليقين، السماع. ولهذه الألفاظ معانٍ تختلف بدرجات متفاوتة عن المعاني الشرعية.

أما علم القرآن والسنة فلا يؤخذان عند الشاذلي إلا عن طريق شيخ أو مُربٍّ أو مرشد، وهو ما يستوجب على السالك الطاعة العمياء لهم. ويؤخذ على الشاذلية ما يؤخذ على الطرق الصوفية من مآخذ انحرفت بسالكيها عن الطريق الإسلامي السوي.

[١]. مأخوذة من موقع " الصوفية " www. Alsoufia.com

المبحث الثاني : الطريقة الرفاعية.

تنسب الطريقة الرفاعية إلى الشيخ أبي العباس أحمد بن سلطان علي الرفاعي، ويصل أتباعه نسبه إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولد أحمد الرفاعي في قرية (حسن) بالقرب من أم عبيدة بالعراق (٥١٢ هـ) وتوفي سنة (٥٧٨ هـ) ودفن في قرية أم عبيدة، أجمعت التراجم في الثناء عليه وأنه من أهل العلم والصلاح، وأشار الكثير ممن ترجم له أن من ينتسبون له اليوم بواد وهو بواد، وأن الافتراء والدس عليه، مما لم يعد ضبطه بالإمكان.

ينسب للرفاعي كرامات منها:

يزعمه أتباعه من أنه لما حج عام (٥٥٥ هـ) ووقف أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنشد هذين البيتين:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي.

فمد له رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الشريفة العطرة من قبره الأزهر المكرم فقبلها في ملأ يقرب من تسعين ألف رجل. والناس ينظرون اليد الشريفة. وكان في المسجد مع الحجاج الشيخ حياة بن قيس الحرابي والشيخ عبد القادر الجيلي المقيم ببغداد والشيخ خميس والشيخ علي بن مسافر الشامي وغيرهم[١].

ثم قالوا:

" وإنكار هذه الكرامة كفر"[٢].

وينسبون من كراماته أيضاً أنه إذا كان ألقى الدرس سمعه الأصم والسميع، والقريب والبعيد، وأن الله أحيا له الميت، وأقام له المقعدين، وقلب له الأعيان، وصرفه في الخلق.

---

١. (جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج ١ ص ٢٩٨،القلادة ص ١٠٨، ١٠٩،واللفظله،المجالس الرفاعية مقدمة ص ٢٦، ٢٧ وغيرها من الكتب.
٢.قلادة ص ١٠٤،المجالس الرفاعية مقدمة ص ٢٧.

ويذكرون كذلك أن الله أبرد لأتباعه النيران، وأزال لهم فاعلية السموم.. وألان لهم الحديد، وأذل لهم السباع والأفاعي، وأخضع لهم طغاة الجن، وصرفهم في العوالم، وأطلعهم على عجائب الأسرار.

وأكتفي بذكر الكرامات فيه خشية إطالة هذا البحث ومن أراد أن يطلع على هذه الكرامات مع الإشارة إلى كتبهم فاليرجع إلى كتاب دراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير رحمه الله.

الشعائر الخاصة للطريقة الرفاعية:

وللطريقة الرفاعية مشاعر خاصة كشأن كل الطرق الصوفية منها:

أنهم يجعلون السماع والمواجيد والتواجد من الصراخ وغيره مما درج عليه أهل التصوف ديناً ويكفرون من يقول ببدعية ذلك أو يعيبه. قالوا "وإن من أنكر ذلك فقد كفر، لأنه عاب خيراً أمر الله به، ومن عاب ما أمر الله به فهو كافر"

قال الألوسي رحمه الله: "وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين والدولة مبتدعة الرفاعية, فلا تجد بدعة إلا ومنهم مصدرها وعنهم موردها فذكرهم عبارة عن رقص وغناء وعبادة مشايخهم".

ومنها الخلوة الأسبوعية السنوية وتبدأ عندهم في اليوم الحادي عشر من المحرم كل عام، ومن شروطها أن لا يأكل المريد طعاماً أخذ من ذي روح، ويذكر المريد في اليوم الأول لا إله إلا الله بعدد معلوم واليوم الثاني الله الله، والثالث وهاب وهاب، والرابع حي حي والخامس مجيد مجيد.. والسادس معطي معطي.. والسابع قدوس قدوس، وكل ذلك بعدد معلوم، وكذلك أن يقول المريد بعد كل صلاة من صلوات هذا الأسبوع (اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر الزكي وعلى آله وصحبه وسلم) يقول ذلك مائة مرة،وزعموا أن لهذه الخلوة فتوحات محمدية، وعنايات أحمدية لا تحصى وأن من فعلها شاهد من البراهين العظيمة وكأن له شأن عظيم

ولا يخف أن هذه الخلوة في هذا الوقت المخصوص بدعة ضلالة وكل بدعة في النار كما قال صلى الله عليه وسلم وأنها تشريع جديد لم يأذن به الله ولا رسوله، وأن فيها مشابه لصيام النصارى الذين يصومون عن ذوات الأرواح، وأن فيها تقرباً من الرافضة حيث يخصص الحادي عشر من محرم من كل

عام بذلك حيث تنتهي مشاعر الرافضة الخاصة ليدخل مشاعر الرفاعية ولعل ذلك السبب في قولهم إن الرفاعي تأتي منزلته بعد الأئمة الاثني عشر مباشرة .

وأما تخصيصهم كل يوم بذكر خاص فهو بدعة، وأما ذكرهم الله بالاسم المفرد فقط الله، حي، مجيد فبدعة عظيمة ولم يرد ذكر الله بالاسم المفرد مطلقاً.. بل لا يذكر الله إلا بجملة مفيدة نحو (لا إله إلا الله) فهي جملة (وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله)، ونحو ذلك فكلها جمل تفيد معنى تعظيماً، فكل من ذكر الله باسم فرد من أسمائه فهو مبتدع، ولذلك لا يستغرب على هؤلاء المبتدعة أن يروا في خلواتهم هذه النيران الشيطانية التي يحسبونها أنواراً ملائكية رحمانية وما هي كذلك لأن الله لا يشرق نوره إلا في قلوب الصالحين المتبعين للحق من عباده.

ومن مشاعرهم ما يسمى بالاستفاضة وهي ربط قلب المريد بقلب الشيخ طلباً لإفاضة العلم الباطني إليه، وهذه بدعة صوفية معلومة. ففي التربية الصوفية يطلب من المريد أن يستحضر روح شيخه عند الذكر ويتمثله أمامه ويطلب من شيخه أن يربط روحه بروح الرسول الذي يزعمون أنه يفيض العلوم والأسرار على قلوب شيوخ الصوفية. والحق أن هذه العملية عملية شيطانية لأن المريد الذي يغيب عقله بالذكر المبتدع الذي يذكره آلاف المرات وعشرات الآلاف حتى يكل عقله ودماغه وهو في كل ذلك يحاول استحضار صورة شيخه أمامه، وقد يكون هذا في ظلام دامس فإن هذا هو الوقت المناسب ليدخل الشيطان إليه زاعماً أنه هو شيخه وأنه يراه الآن، وأنه يربط الآن قلبه بقلب الرسول ليفيض عليه العلوم والأسرار الإلهية، ويبدأ الشيطان يلقي في قلوب هؤلاء وساوسه الإبليسية فيوهم الواحد منهم أنه الآن صاعد إلى السماء، وأن هذا هو عرش الله، وهذا هو كرسيه هذه هي الأرض، وأن قد أصبحت الحبيب والعظيم وصاحب الهمة وما إلى ذلك من هذا النفح الشيطاني حتى يتصور المسكين فعلاً أنه وصل إلى مكان القرب من الله، وأن السماوات قد أصبحت طوع أمره، والأرض أصبحت كالخلخال برجله، وأنه يستطيع أن يقول للشيء كن فيكون.. وهكذا يكون المريد الذي دخل الخلوة، وذكر هذه الأذكار المبتدعة، وقطع نفسه بالظلام على هذا النحو يعود بنفس أخرى وحال أخرى غير الحال التي دخل بها.

وهذا سر قولهم إن لهذه الخلوة أسراراً وبراهين عظيمة، ولو علموا أنهم يربطون قلوبهم بالشياطين لعرفوا الحق المبين وأنهم نهوا عن سلوك الطرق المعوجة لأنه لا توصل إلا إلى الهاوية والضلال المبين.

وقد جعل الرفاعية الفضيلة العظمى والشرف الأسمى لهم على سائر الفرق ببركة الرفاعي فإن الله قد أبرد لأتباعه النيران، وأزال لهم فاعلية السموم، وألان لهم الحديد، وأذل لهم السباع والحيات والأفاعي، وأخضع لهم طغاة الجن .

ولذلك فإنهم في موالدهم ومؤتمراتهم العامة يأتون بمن يشعل النار ويدخلها إلى فمه، ومن ينفخ ناراً من فمه على هيئة التنين.. ومن يحمل الأفاعي ويلعب بها، ونحو ذلك من الشعبذات والخزعبلات التي لا يكاد يخلو منها قوم من أقوام أهل الشرك كالهنادك والفرس، وغيرهم

وللرفاعيةأوراد مخصوصة كثيرة نذكر نبذة منها، فيقولون:

ومن أحزابه الشريفة هذا الحزب واسمه الحزب الصغير،وهو:

(بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إني أسألك بعظيم قديم كريم مكنون مخزون أسمائك وبأنواع أجناس أنفاس رقوم نقوش أنوارك وبعزيز أعزاز أعزّ عزتك ويحول طول حول شديد قوتك وبقدر مقدار اقتدار قدرتك وبتأييد تحميد تمجيد عظمتك وبسمو نموّ علوّ رفعتك وبحيوم قيوم بنوم دوام أبديتك رضوان غفران أمان رفعتك وبرفيع بديع منيع سلطانك وبصلاة سعاة بساط رحمتك وبلوامع بوارق صواعق صحيح وهيج بهيج وهيج نور ذاتك وبهر قهر جهر ميمون ارتباط وحدانيتك وبهدير تيار أمواج بحر كالمحيط بملكوتك وباتساع انفساخ ميادن بواذخ كرسيك وبهيكليات علويات روحانيات أملاك عرشك وبالأملاك الروحانيين المديرين الكواكب أفلاكك وبحنين أنين تسكين المريدين لقربك وبحرقات زفرات جمعات الخائفين من سطوتك وبأمال نوال أقوال المجتهدين في مرضاتك وبتحمد تمسجد تجلد العابدين على طاعتك وتخضع تخشع تقطع مرائر الصابرين على بلوائك يا أوّل يا آخر يا ظاهر يا باطن يا قديم يا مقيم اطمس بطلسم)

ومن أحزابه الغريبة العجيبة " المص الر الر الر المر المر المر كهيعص طسم طس طسم طسم الم الم الم يس ص حم حم حم عسق حم حم حم عسق حم حم ق ن ... محمد رسول الله حصني مكملاً وأبوبكر يميني حرزا ووكيلاً وعمر بن الخطاب يساري عزا وتجملاً وعثمان بن عفان من خلفي قوة وحولا وعلي بن أبي طالب أمامي مهابة ... لا إله إلا أنت أحون قاف آدم حم هاء آمين ...

فهذه هي الأوراد وأمثاله االتي قال فيها بعض الرفاعية:

عليك بأوراد الرفاعي إنها إلى شيخ أشياخ الطريقة تنسب

وداوم عليها فهي حصن وجنة ودرع لدفع النائبات مجرّب

وباب بوصل العبد بالله عامر ونهج به للمصطفى يتقرّب

وأحياناً كانوا يرددون مثل هذه الأوراد لنيل المآرب وحصول المطالب، فيذكر أحد الرفاعيين "كنت أمشي تحت جبل قاف، فجاء وقت الصلاة فتوضأت وصليت وقرأت الورد الشريف ثم ذكرت اسم سيدي أحمد (الرفاعي) فلما أتممت جاءت حية عظيمة وفي فمها درة فألقتها أمامي، ثم أنطقها الله فقالت: خذ هذه الهدية مني لحضرة سيدي أحمد، فتعجبت وقلت: أتعريفين سيدي أحمد؟

فقالت: عجيب هذا، هل على بساط الأرض من رطب ويابس من يجهل سيدي أحمد الرفاعي، بلغّه سلامي، فأنا من مردائه".

وعلى كل فهذا هو الرفاعي الذي يعرفه كل رطب ويابس على بساط الأرض، وكانت الحيوانات أيضاً من مريديه[١].

وهؤلاء هم الرفاعيون..

[١]. دراسات في التصوف. ص.٢٣٣-٢٣٤ ونقل الشيخ من قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر . ص. ٣٦٢، ٣٦٣

المبحث الثالث: الطريقة النقشبندية.

تنسب هذه الطريقة إلى محمد بهاء الدين شاه نقشبند. واشتق اسمها منه ، ولد في قرية بخارى (٧١٧-٧٩١هـ) .وكانت قبله تنسب إلى عبد الخالق الغجداواني ، وسميت كذلك بالمجدوية، أو الفاروقية نسبة إلى الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي، وبالخالدية نسبة إلى خالد النقشبندي الملقب بالطيار ذي الجناحين . وهو الذي نشر الطريقة في بلاد الشام بعد أن تلقاها من الشيخ عبد الله الدهلوي . وقد كان انتشارها مقصورا على بلاد بخلرى وما حولها.[١]

وهو قد أخذها عن شيخه أمير كلال عن الخواجة محمد بابا السيماسي عن علي الراميتني عن محمود النغوي عن الخواجة محمد عارف الديوكري عن الخواجة عبد الخالق الغجدواني.[٢]

وهو قد لقب بنقشبند لانطباع صورة لفظ الله على طاهر قلبه من كثرة ذكر الله. وقيل سمي نقشبند لأن الرسول صلى الله عليه وسلم وضع كفه الشريف على قلب الشيخ محمد بهاء الدين الأويسي نقشبند ، فصار نقشا في القلب.[٣]

أصول الطريقة مجملا.

وأصول الطريقة النقشبندية متوافقة في كثير من تفاصيلها مع الطرق الصوفية الأخرى. فإن فيها من البدع والشركيات والقول بوحدة الوجود وما يحكونه عن أحوال مشايخهم وخصائصهم وصرفهم المطلقة في ذارات الكون، ما لا يشك معه أحد في أن هذه الطريقة إحدى طرق الصوفية الغلاة ، الخارجين عن الكتاب والسنة ، مع إصرار أصحابها بأنها طريقة سنية لا تخرج عن أهل السنة والجماعة شبرا واحدا.[٤]

ونقلوا عن الشيخ محمد بارسا (أحد أجلاء أصحاب الشيخ نقشبند.) في كتابه (فصل الخطاب) " أن طريقة الخواجة (شاه نقشبند) حجة على جميع الطرق ومقبولة لديهم، لأنه كان سالكا طريق الصدق والوفاء ومتابعة الشرع وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ومجانبة البدع ومخاالفة الهوى.[٥]

---

[١]. البهجة السنية في آداب الطريقة العلية النقشبندية .ص. ٣٥
[٢]. اتحاف السادات المتقنين شرح إحياء علوم الدين لمحمد الحسينس (٢٤٨/٧)
[٣]. تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب (ص.٥٣٩) نقل من حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية.
[٤]. المواهب السرمدية (ص. ٣) " الأنوار القدسية " (ص. ٥) " احدائق الوردية" (ص. ٣)
[٥]. المواهب السرمديةز (ص. ٧٧)

ما حكم المعترض على الطريق ؟

وحكموا على من قال " الطرق الصوفية لم يرد بها قرآن ولا سنة " حكموا عليه بالكفر فقالوا " وإياك أن تقول : طرق الصوفية لم تأت بها كتاب ولا سنة فإنه كفر"[١] وقال صاحب الحديقة الندية " بأن الإنكار على السادة الصوفية سم قاتل قد ورد به الوعيد والشديد وهو علامة إعراض القلب عن الله ويخشى على فاعله من سوء الخاتمة.[٢]

بل قال السرهندي :" وأشقى جميع الخلائق وأبعدهم عن السعادة الذين يرون عيوب هذه الطائفة.[٣]

وزعموا أن أحمد ابن حنبل أوصى بمجالسة الصوفية لأنهم زادوا علينا – يعني على أئمة العلم – بكثرة العلم والمراقبة والخشية والهمة وعلو الهمة ، وأن الشافعي كان يتردد عليهم ويصفهم بأن عندهم الأمر كله وهو تقوى الله.[٤]

ومن الملاحظ تلازم الطرق الصوفية الأربعة بالطريقة النقشبندية وهم الجشتية والسهروردية والقادرية في حين لا بدو أنه يسمح للمريد النقشبندي بمبايعة طريقة أخرى غيرها كالرفاعية.[٥]

وقد تفرعت من الطرق النقشبندية عدة طرق وهي الخالدية أو الضيائية نسبة إلى خالد ضياء الدين البغدادي الملقب بذي الجناحين ، والضيائية والكبروية والسرهندية أو المجدية نسبة إلى أحمد السرهندي صاحب المكتوبات .

مبادئ الطريقة

تمتاز هذه الطريقة على مثيلاتها من الطرق بالإعتقادات التالية :

يعتقد المنتسبون لهذه الطريقة أن المؤسس الأول لها والواضع لأسسها ومبادئها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالرغم من أن أبا بكر لا يعرف اسم هذه الطريقة.

---

١. " الحدائق الندية في الطريق النقشبدية " (ص. ٣١)
٢. " الحدائق الندية في الطريق النقشبدية "(ص. ٩٤)
٣. المكتوبات الربانية للسرهندي (صز٣٤٨)
٤. " الحدائق الندية في الطريق النقشبدية " (ص. ٣٣-٣٥)
٥. المصدر السابق (١٦)

وزعموا أن رسول الله عليه وسلم قال : " ما صب الله في صدري شيئا إلا وصببته في صدر أبي بكر"[١]

وجرى الصوفية على ربط أنفسهم باسم صحابي ، لكي يكتسبوا به صيغة شرعية . فأغلب الطرق الصوفية تلتصق بعلي وسلمان الفارسي رضي الله عنهم . وكل منها تدعي تلقي العلوم المكتوبة الباطنة . من طريق علي الذي أواني علم الباطن عن النبي صلى الله عليه وسلم . وهذه محاذاة لطريق الروافض.

فهم يزعمون الكشف والتوفيق والإلهام وحصول القلب من الله ،وهذا يمكن تقديم الدليل أنه من الله ويدعيه كثير من المبطلين الذين يتوصلون بدعاوى الكشف إلى إقناع العوام وتخديرهم وسرقتهم.

فبضاعتهم في الحديث باطلة ، وزاد الكوثري كذبة أخرى وهي أن عبد الرحيم الهندي رأى في بعض الكتب أن أبا بكر رضي الله عنه لن يستعمل الذكر الخفي على طريقة النقشبندية مع حبس النفس ولا يتنفس إلا في الصباح . وكان يشم الناس رائحة اللحم المشوي فتضرروا من هذه الرائحة طنا منهم أنه يطبخ اللحم . وشكوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرهم أن هذه الرائحة التي يجدونها رائحة كبد أبي بكر وأنه ليس عنده لحم.[٢]

وعجبا للسرهندي كيف يدعي بأنه " كما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذ العلوم من الوحي فكذلك هؤلاء الأكابر (مشايخ الصوفية) يأخذونها بطريق الإلهام من الأصل [٣].أي من الله مباشرة .مع أن أبا بكر لم يزعم أنه يأتيه كشف ، ولا غيره من الصحابة . قالوا : ومن أبي بكر تسلسلت إلى طيفور ابن عيسى أبي يزيد البسطامي وهذه (مرحلة الصديقة) ومنه إلى خواجة عبد الخالق العجدواني وهذه المرحلة تسمى (طيفورية) ومنه إلى محمد بهاء الدين النقشبند وتسمى (نقشبندية) ومن محمد بهاء الدين نقشبند إلى الشيخ أحمد الفاروقي وتسمى (أحرارية) ومنه إلى الشيخ خالد وتسمى (مجدوية) ومنه إلى خالد النقشبندي وتسمى (خالدية) وأنشدوا قائلين:

سر الطرائق ما بين الخلائق من إحسانه سار للأصحاب سائره

فالنقشبندي أقواها وأقوامها لأنه عن أبي بكر مصادره

---

١. " الحدائق الندية في الطريق النقشبدية " (ص. ١٣)
٢. " إرغام المريد " للكوثري (ص.٣٠)
٣. المكتوبات الرباني (ص. ٤١)

وزعموا أنه تم نقل مبادئ الطريقة بعناية عن أكابر السلف كأبي بكر وسلمان الفارسي وجعفر الصادق وبقيت كذلك حتى جاء محمد بهاء الدين الأويسي ثم جاء بعده الإمام السرهندي توفي ١٠٣٤هـ وهو الذي نشر الطريقة في الهند وكتب كتابه المشهور " المكتوبات الإمام " وكتاب " رشحات عين الحياة " لعلي ابن الحسن الواعظ الهروي وهذا الكتاب فيه كفريات عجيبة ومع ذلك فهو كتاب عظيم عندهم ، احتج به السرهندي الفاروقي النقشبندي والكوثري والخاني واستحسنه واحتج به خالد البغدادي الملقب بذي الجناحين وكتابه مليئ بكفر ظاهر لا يقبله مسلم ومع ذلك فإن النقشبنديين يثنون عليه ويحتجون به .[١]

ثم نشرها في بلاد الشام محمد أمين الكردي . ولا يزال الشيخ أمين يعمل على نشر هذه الطريقة في بلاد الشام ولبنان إلى يومنا هذا.

في حين يدعي عبد المجيد الخاني أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الواضع أصول الطريقة قائلا:

رجال الطريقة الخالدية الأولى هم صفوة الرحمن في كل مشهد

نبي وصديق وسلمان قاسم وجعفر طيفور وفرقاني فارمدي

ويأتي محمد علي الكردي فيدعي أن واضع علم التصزف وطرقه هو الله ، وأانه أوحى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وفضل أهل التصوف على سائر الخلق واختصهم بتواضع الأنوار فهم الذين يعيشون الخلق ، ويلزم من هذه الدعوى أن النبي صلى الله عليه وسلم كتم هذا العلم ولم يبلغه ، وأن أبا بكر وسلمان كتما العلم أيضا.[٢]

كيف ينال المرء مرتبة الصديقة ؟

فالصديقة مرتبة عظيمة ولكن : كيف يناله المرء؟

قالوا : لا يكون الصديق صديقا حتى يشهد عليه سبعون صديقا بأنه زنديق .

ونقلوا عن بهاء الدين شاه نقشبند أن بداية الطريقة النقشبندية : نهاية الطرق الأخرى

---

[١]. علماء المسلمين وجهلة الوهابيين " نقل من حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية

[٢]. حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية لعبد الرحمن الدمشقي (ص. ١٣)

وأوجبوا على الناس دخول طريقتهم وهددوا من لا يدخل الطريقة النقشبندية بأنه يكون على خطر من دينه فنقلوا عن بهاء الدين شاه نقشبند أنه قال : "من أعرض عن طريقتنا فهو على خطر من دينه"[١] وهم يطعنون في الطرق الأخرى فيقولون في الطريقة الرفاعية ومن المدعين للطريقة جماعة وسموا أنفسهم بالمشايخ الصادقين .....كالأحمدية والدسوقية والرفاعية ... فإن الغالب على هؤلاء مخالفتهم لطريق من انتسبوا إليه .

وتبقى وشائج الاتصال بين الأحياء وبين الأموات من سلسلة مشايخ الطريقة ابتداء من الانضمام إلى الطريقة وأخذ العهد والبيعة ،وتدوم الصلة بين المنتمين إليها دائما بسلسلة مشايخ الطريقة الأموات فمن روحانيتهم يطلبون المدد ويتلقون المعرفة والأدب ولهم تتم المبايعة وتختتم مجالس ذكرهم بإهداء ثواب ذلك الختم لسلسلة مشايخ الطريقة فردا فردا.

ولهذا كان الشيخ بهاء الدين نقشبند يجتمع بأرواح سلسلة المشايخ النقشبندية ويأخذ العهد والولاية والتكليف منهم في المقبرة

الحرص على الخفي والتركيز على أن يكون الذكر بالقلب ويسمونه القلب الضوبري وعندهما ما يسمى بالورد الخفي يكون بعد صلاة الفجر . وزعموا أن اللائق بالمبتدئ هو الذكر الجهري فإذا ما ترقى إلى المقامات العلا فإنه حينئذ ينتقل منه إلى الذكر الخفي..[٢]

من لا شيخ له فهو كافر وفاسق عندهم

صرحوا بأن كل من لم يتخذ له شيخا فهو عاص لله ورسوله ولا يحصل له الهوى بغير شيخ ، ولو حفظ ألف كتاب في العلم بل حكموا عليه بالكفر فقالوا :" من لا شيخ له فشيخه الشيطان ومتى كان شيخه الشيطان كان في الكفر حتى يتخذ له شيخا متخلقا بأخلاق الرحمن".[٣]

وهذا شبيه بما تشبه النصارى إلى المسيح أنه قال : " أنا الطريق والحق والحياة ، ليس أحد يستطيع أن يأتي إلى الأب إلا بواسطتي (يوحنا : ٦)وليس في الإسلام شيئ يمنع من الوصول إلى الله . ولا واسطة تحول بين الله وبين عباده .

---

[١]. نور الهداية والعرفان في سر الرابطة والتوبة وختم الخواجكان (ص. ٦٣)
[٢]الطرق الصوفية في طرابلس ورجاله (ص. ٢١٦)
[٣].الحدائق الندية في الطريقة النقشبندية (ص. ٣١)

نعم الشيخ ضروري لطلب العلم منه لا لوضع صورته في الخيال عند الله :ولا لفتح باب الكشف والوحي والاتصال بغير الله .

وزعموا أنه لا وصول للمريد إلى الله إلا بواسطة الشيخ لأنه بزعمهم بابه إلى حضرة الله تعالى ووسيلته إليه وهو نائبه عن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : الوصول إلى الله لا يمكن أن يتم بغير صحبة العالم العارف، بل هو المظهر الذي عينه الله للمريد فإن الشيخ يجذب المريد جذبة إلى الله تسمى بالجذبة الإلهية ولا تحصل هذه الجذبة إلا بصحبة الشيخ والشيخ كالميزاب ينزل الفيض من بحره المحيط إلى قلب المريد .[١]

نموزج من الشرك في عقيدة الطريقة

أما عن الله يصرحون الصوفي الحقيقي الذي هو الذي لا حاجة لهإلى الله . قالوا :" وسئل (أي بهاء الدين) عن قولهم (أي الصوفية) الفقير هو الذي لا يحتاج إلى الله فقال المراد منه كما قال إبراهيم : " حسبي من سؤالي علمه بحالي " [٢]وأما إلى غيره من المخلوقات فالحاجة الماسة .

يصرحون بعدم الحاجة إلى الله

ولقد صرح كبار الصوفية بعدم حاجتهم إلى الله تعالى فإنه لما سألهم سائل عن علامة الصوفي (الفقير) قالوا : " أن لا يكون له إلى الله حاجة " . ذكره القشيري والسهروردي .[٣]

وقد استبعدوا أن يكون هناك من يغيث الخلق غير النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقد أخرجوا الرب بذالك من حسابهم : من رغبتهم ورهبتهم فتوجهوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قائلين :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

يا حبيب الإله خذ بيدي ما لعجزي سواك مستندي [٤]

---

[١]. البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية " لمحمد الخاني (ص. ٣)
[٢]. الحدائق الوردية في حقائق أكلاء النقشبندية. (ص. ١٣١)
[٣].الرسالة القشيري (ص. ١٢٥)
[٤]. " الحجج والبينات في ثبوت الاستغاثة بالأموات (ص. ٣١-٣٢)

ماذا تتضمن مجالس ذكر النقشبندية

تتضمن مجالس النقشبندية التوجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بغفران الذنوب وقضاء الحوائج . وهي مجالس شبيهة بمجالس الشيعة .

وإليكم بعض الأناشيد التي يغنوها في مجالسهم يتوجهون فيها إلى أهل البيت وهي مسجلة لدى صوتهم . وهنا يخاطبون النبي صلى الله عليه وسلم

يا رسول الله

وقفت بالذل في أبواب عزكم مستشفعا لذنوبي عندكم بكم

أعفر الخد ذلا في التراب عسى أن تقبلوني وترضوا عن عبيدكم

فإن رضيتم فيا سعدي ويا شرفي وإن أبيتم فمن أرجو غيركم

أنا المقر بذنبي فاصفحوا كرما فيا نكساري وذلي قد أتيتكم

نسيت كل طريق كنت أعرفها إلا طريقا تؤدي إلى حيكم

لا تطردوني فإني قد عرقب بكم بين الورى أدعي بصيكم

يا آل طه إني عبد ذليل منكم أرجو استتار فضائحي

يا آل طه نظرة لي بانبي منكم تها تقضي جميع مصالحي

أنتم كرام الدهر كل من التجا بجنا بكم يا سادتي لم يفضح

والله طهركم وأذهب عنكم رجسا وفضلكم بطه الأسمح

وقالوا :

يا من له في الكون من حاجة عليك بالتوسل بالسيدة الطاهرة

نفيسة والمصطفى جدها أسرارها بين الورى ظاهرة

في الشرق والغرب لها شهرة أنوارها ساطعة فاهرة

كم من كرامات لها قد بدت وكم من مقامات لها فاخرة

عابدة زاهدة جامعة للخير في الدنيا والأخرة

تتلو كتاب الله في لحدها وهي لمن قد زارها بعون الله ناظرة

في كم قطر قد سما ذكرها عاملة فائقة ماهرة

يسقى بها الغيث إذاما القرى قد هو طلت في سحبها الماطرة

وقد أنشد عبد المجيد الخافي في " الحذائق الوردية " يقول للنبي صلى الله عليه وسلم

" يا شفيع الخلق في اليوم العسر ومجير الناس من نار السعير

أنت روح الكون لولاك لما خلق الأفلاك مولاك القدير

أنت مقصود الوجود المصطفى أنت بين الرسل البدر المنير

وأنا عبد ضعيف مذنب مستجير بحماك المستنير

وحماك الملجأ المقصود في كل حال من صغير وكبير

فأغثني يا غياث الأنبياء ليس لي غيرك والله نصير

واستجب لي وقني ما أشتكي وأجرني منه يا خير مجير

ياأبا الزهراء كن لي منقذا يوم لا يغني كبير عن صغير

من لهذه المذنب العاصي إذا لم يجره أحمد الهادي البشير

وهو دخر العالمين المرتجى عاصم العاصي من الهول المبير

وهو كاف للبرايا كافل للعطايا ظاهر المجد ظهير

أنا عبد من عبيد الباب بل أنا في الأعقاب كلب يستمر

بل أنا عبد كلاب سكنت طيبة الطيبة النشر العبير

عطف الله علينا قلبه وجزاه كل خير من نذير

حين قلت حيلتي : قلت له يا عريض الجاه إني مستجير

فهو عوني وهو غوثي وبه أتقي اليوم العبوس القمطرير[١]

تصريحهم بوحدة الوجود

كان بعض النقشبندين يعتبون علي ويقولون : "أنت تتصدى لمن يقولون لاإله إلا الله . لماذا تكرس جهودك ضد أعداء التوحيد وتترك الذين يشهدون أن لاإله إلا الله وشأنهم ؟

ولكن ماذا تعتني لاإله إلا الله عند هولاء ؟

ولقد قال النقشبنديون " معنى كلمة لاإله إلا الله بالنسبة إلى حال المنتهين :

لا معبود إلا الله ، وبالنسبة إلى حال المتوسطين : لا مقصود إلا الله . ولانسبة إلى حال المبتدئين لا موجود إلا الله .

يقول صاحب الرشحات : " قال بعض الأكابر في معنى لا إله إلا الله : أحيانا : في مرتبة سلوكه : لا معبود إلا الله وأحيانا لا مقصود إلا الله وأحيانا لا موجود إلا الله.[٢]

وذكروا أن "لا إله إلا الله" ذكر العوام ."والله" ذكر الخواص "وهو" ذكر خواص الخواص . هكذا جعلوا (هو) أفضل وأعلى مرتبة في الذكر من لا إله إلا الله .

فهم يقولون لاإله إلا الله ويفهمون أن الموجود الحقيقي ولا غير هو الله بل هو متجل في صور المخلوقات التي نراها كلها !!!

ويستحق المرء عندهم أن يوصف بأنه عالم بعلم التوحيد " إذا اعتقد توحيد الأفعال والصفات والذات وتقرر في قلبه أن لا فاعل في الوجود إلا الله . فحينئذ يقال لمثل هذا : إنه عالم بعلم التوحيد .

الطريقة النقشبندية على ثلاث طرق

---

[١]. حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية (ص. ٢٥-٢٧)
[٢]. رشحات عين الحياة (١٤١)

وقد قسم الشيخ الطريقة النقشبندية السرهندي الطريقة النقشبندية إلى ثلاث طرق : الأولى : قائلون بأن العالم ظل الحق سبحانه . وأن الوجود قائم بوجود الحق قيام الظل بالأصل . مثلا : إذا امتد الظل من شخص وجعل ذالك الشخص من كمال قدرته وصفات نفسه منعكسة في نفسه .

وقد زعم السرهندي أنه غلبته الحال حتى وصل إلى مقام الظلية ووجد نفسه وسائر العالم ظلا كما تقول به الطائفة الثانية من النقشبندية .ظنا منه أن الكمال في وحدة الوجود.[١]

الثالث : قائلون بوحدة الوجود . أي في الخروج موجود واحد فقط : وهو ذات الحق ... ويقولون إن الحق متصف بصفات وجودية وإمكانية ، ويثبتون مراتب التنزلات ، ويقولون باتصاف الذات الواحدة في كل مرتبة وأحكام لائقة بتلك المرتبة ، ويثبتون للذات التلذذ والتألم ، لكن لا بالذات ، بل في حجب هذه الظلال المحسوسة الموهوبة ، ويلزم من هذا محظورات كثيرة شرعا وعقلا ... وهؤلاء الطائفة وإن كانوا واصلين ولكن كلامهم دل على طريق الضلالة والإلحاد وأفضاهم إلى الزندقة والإلحاد .

فحكم بأن قولهم عين الزندقة والضلال ثم وصفهم بأنهم من الواصلين الكاملين .[٢]

مع أنه اعتذر عن القائلين بوحدة الوجود بأن قولهم بوحدة الوجود سببه السكر وغلبة المحبة لله .[٣]

---

[١]. مكتوبات الإمام الرباني (١٤١)
[٢]. مكتوبات الإمام الرباني السرهندي (١٣٨- ١٣٩)
[٣]. نمتوبات الإمام الرباني (ص. ٣٤٧) نقل من حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية لعبد الرحمن بن محمد شعيد الدمشقي

المبحث الرابع: الطريقة القادرية.

القادرية إحدى الطرق الصوفية السنية والتي تنتسب إلى عبد القادر الجيلاني (٤٧١ هـ - ٥٦هـ)، وينتشر أتباعها في بلاد الشام والعراق ومصر وشرق أفريقيا. وقد كان لرجالها الأثر الكبير في نشر الإسلام في قارة أفريقيا وآسيا، وفي الوقوف في وجه المد الأوروبي الزاحف إلى المغرب العربي.

مؤسس الطريقة

هو عبد القادر ابن أبي صالح ابن عبد الله الجيلي الحسني، ولد بجيلان في بيت أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست , وأمّه أم الخير فاطمة بنت الشيخ عبد الله الصومعي الزاهد حملت به هي بنت ستين سنة. وقدم بغداد شابا سنة ٤٨٨هـ ، وتفقه على عدد من مشايخها. جلس للوعظ سنة ٥٢٠هـ. وحصل له القبول عند الناس، واعتقدوا ديانته وصلاحه ، وانتفعوا بكلامه ووعظه، اشتهر عن الشيخ عبد القادر ما يدل على فقهه وعلمه. وظهر تعلى يديه الكثير من الكرامات، وتاب وأسلم على يديه العديد من الناس. توفي وعمره ٩٠ عاماً ودفن في رواق مدرسته سنة ٥٦١ هـ.

ينسب لعبد القادر كرامات منها :

ويذكر الصوفية أنه قدم بغداد في الثامن عشرة من عمره " فلما دخل إلى بغداد وقف له الخضر عليه السلام ومنعه الدخول وقال له: ما معي أمر بأن تدخل إلى سبع سنين , فأقام على الشط سبع سنين يلتقط من البقالة من المباح حتى صارت الخضرة تبين من عنقه , ثم قام ذات ليلة فسمع الخطاب: يا عبد القادر , أدخل بغداد , فدخل وكانت ليلة مطيرة باردة فجاء إلى زاوية الشيخ حماد بن مسلم الدباس فقال الشيخ: أغلقوا باب الزاوية وأطفئوا الضوء , فجلس الشيخ عبد القادر على الباب فألقى الله تعالى عليه النوم فنام فأجنب , ثم قام فاغتسل فألقى الله تعالى عليه النوم فأجنب , ولم يزل كذلك سبع عشرة مرة وهو يغتسل عقب كل مرة , فلما كان عند الصبح فتح الباب فدخل الشيخ عبد القادر , فقام إليه الشيخ حماد فاعتنقه وضمه إليه وبكى , وقال له: يا ولدي عبد القادر , الدولة اليوم لنا , وغدا لك , فإذا وليت فاعدل بهذه الشيبة "[١]

والخضر أيضا كما رووا:

[١]. دراسات في التصوف (ص. ٢٥٠) ، ونقل الشيخ من قلادة الجواهر (ص. ٣)

" وكان الشيخ يتكلّم يوماً على الناس , فخطا في الهواء خطوات ,

وقال: يا إسرائيلي قف , فاسمع كلام المحمدي , ثم رجع إلى مكانه فقيل له في ذلك , فقال: مرّ أبو العباس الخضر عليه السلام فخطوت إليه وقلت له ما سمعتم , فوقف) "

وليس الخضر والملائكة فحسب , بل ورسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك – عياذاً بالله – كما ذكر ذلك الشطنوفي عن أبي سعيد القيلوي أنه قال:

"رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم في مجلس الشيخ عبد القادر غير مرة. . . وأن أرواح الأنبياء لتجول في السموات والأرض جولان الرياح في الأفاق , ورأيت الملائكة عليهم السلام يحضرونه طوائف بعد طوائف , ورأيت رجال الغيب والجان يتسابقون إلى مجلسه , ورأيت أباالعباس الخضر يكثر من حضوره , فسألته , فقال: من أراد الفلاح فعليه بملازمة هذا المجلس[١]) "

وفي مثل هذه المجالس قال مرة:

" قدمي هذه على رقبة كل وليّ لله , فقام الجميع وأخذوا قدم الشيخ وجعلوها على أعناقهم , ومدّ عنقه من كان غائباً "[٢]

وأما تصرفه حياً وميتاً, وملكه المغفرة لمريديه فذكر كل من الشنطوفي وابن التادفي وعبد الحق الدهلوي وغيرهم من المتصوفة أنه: ضمن لمريديه إلى يوم القيامة أن لا يموت أحد منهم إلاّعلى توبة , وأعطى أن مريديه ومريدي مريديه إلى سبعة يدخلون الجنة.

وقال: أنا كافل لمريد المريد إلى سبعة كل أموره , ولو انكشفت عورة مريدي بالمشرق وأنا بالمغرب لسترتها , وأمرنا من حيث الحال والقدر أن نحفظ بهممنا (أي بقدراتنا) أصحابنا.

وطوبى لمن رآني ورأى من رآني , ورأى من رأى من رآني , وأنا حسرة على من لم يرني[٣] "

وقال: أعطيت سجلاً مدّ البصر فيه أسماء أصحابي ومريدي إلى يوم القيامة , وقيل لي: قد وهبوا لك , وسألت مالكاً خازن النار: هل عندك من أصحابي أحد؟

---

[١]. دراسات في التصوف (ص.٢٥٣) ، ونقل الشيخ من قلادة الجواهر (ص. ٩٥)
[٢]. دراسات في التصوف(ص.٢٥٣) ، ونقل الشيخ من بهجة الأسرر (ص. ٩٥)
[٣]. دراسات في التصوف(ص.٢٥٦) ، ونقل الشيخ من بهجة الأسرار (ص. ٩٦) ، وقلائد الجواهر (ص. ١٥)

فقال: لا وعزة ربي وجلاله , إن يدي على مريدي كالسماء على الأرض أن لم يكن مريدي جيدا فأنا جيد.

وعزة ربي وجلاله , لا برحت قدماي من بين يدي ربي حتى ينطلق بي وبكم إلى الجنة "[١]

وأكتفي بذكر الكرامات خشية إطالة البحث ومن أراد أن يطلع عليها مزيدا فاليرجع إلى الكتب التي في الهوامش.

قواعد الطريقة القادرية:

يذكر الشيخ مخلف العلي القادري الحسيني أهم قواعد وأسس الطريقة القادرية:

✍ **الالتزام بالكتاب والسنة**: يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني:

(طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة فمن خالفهما فليس منا). ويقول: (اجعل الكتاب والسنة جناحيك طر بهما إلى الله).

✍ **الجَدُّ والكَدُّ ولزوم الحَدِ حتى تنقد**: ومعنى (جد) الجدية في سلوك الطريق إلى الله، ومعنى (كد) بذل الجهد والجوارح والنفس والروح في السير إلى الله بدون هوادة ولا تراخي، ومعنى(لزوم الحد) الالتزام بالشريعة وتحليل الحلال وتحريم الحرام والوقوف عند حدود الله وعدم تجاوزها، ومعنى (حتى تنقد) حتى تجف النفس عن المعاصي والذنوب والشهوات والملذات والأخلاق السيئة ولا يبقى فيها إلا الله جل في علاه.

✍ **الاجتماعُ والاستماعُ والإتباعُ حتى يحصل الانتفاع**: ومعنى هذا الاجتماع بالصالحين والعلماء والمرشدين والأخوة في الله والاستماع لهم بأدب وإتباع ما يقولون وما يأمرون من الهدي النبوي وبذلك يحصل لدينا الانتفاع والوصول لما وصلوا إليه.

✍ **الاعتقاد بشيخ الطريقة العقيدة الصحيحة**: ومعنى هذا أن يحبوه ويحترموه ويقدروه ولا يهملوه ولا يعظمونه فوق الحد المطلوب ولا يغلوا في حبه ولا يعتقدوا فيه العصمة فإنه بشر يخطئ ويصيب لكنه محفوظ بعناية الله إن أخطأ سرعان ما يرجع إلى الله ويتوب إليه، يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه الغنية: (يا بني إياك أن تنظر إلى شيخك أنه معصوم إنما هو بشر يخطئ ويصيب فإن رأيت منه مخالفة فابحث له عن عذر شرعي فإن لم تجد له عذر فاستغفر له الله فإنه بشر يخطئ ويصيب).

---

[١]. دراسات في التصوف(ص.٢٥٧) ، ونقل الشيخ من بهجة الأسرار (ص. ١٠٠)

✍ **حب الشيخ**: لكن حب الله والرسول مقدم عليه وهو المراد الحقيقي من السير والسلوك على يد الشيخ المرشد فهو دليلنا إلى حب الله ورسوله .

✍ **الدعوة إلى الله**

✍ **كثرة الذكر لله تعالى**: فالذكر هو المعراج في السير إلى الله في الطريقة القادرية، فمن أهم أعمال المريد كثرة الأذكار والمداومة عليها وعلى الاستغفار والصلاة على الرسول بالليل والنهار وبذلك يرتقي المريد في مقامات المحبة لله ولرسوله والذكر هو الوسيلة العظمى لتزكية النفس وتربيتها وتحليتها بالأخلاق المحمدية.

✍ **محبة آل البيت**: وحبهم مقدم على كل من سواهم من الناس لأنهم بضعة النبي ووصيته لأمته، مع الحب والتقدير والإكبار والإجلال للصحابة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب.

✍ **حب كل الأولياء والصالحين**: وحب مشايخ ومرشدين الطرق الأخرى، ولا يفرقون ولا يميزون بين طريقة وأخرى، ولا يتعصبون لطريقتهم ولا يطعنون بالطرق الأخرى التي تنهج منهج الكتاب والسنة، وذلك كله مع المحبة والتعظيم والتقدير لطريقتهم ولمشايخهم كما ينبغي أن يكون.

شروط الشيخ المرشد عند الإمام الجيلاني

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني في القصيدة العينية:

كما ينبغي أن يكون.

شروط الشيخ المرشد عند الإمام الجيلاني

وإن ساعد المقدور أو ساقك القضا — إلى شيخٍ في الحقيقة بارع

فقم في رضاه واتبع مراده — ودع كل ما من قبل كنت تسارع

ولا تعترض فيما جهلت من أمره — عليه فإن الاعتراض تنازع

ففي قصة الخضر الكريم كفاية — بقتل غلام والكليم يدافع

فلما أضاء الصبح عن ليل سره وسل حساماً للغياهب قاطع

أقام له العذر الكليم وإنه كذلك علم القوم فيه بدائع

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني في القصيدة العينية:

لقد أسس الإمام الجيلاني طريقته وفق الكتاب والسنة ووضع لها ضوابط شرعية حتى لا يكثر الشطط والنقصان والتغيير والابتداع ويدعي المشيخة من يقدر ومن لا يقدر ومن يعلم ومن لا يعلم. فوضع الشيخ ضوابط وشروط ينبغي أن تتوفر بالشيخ المرشد الذي يتصدر للإرشاد وهذه الشروط هي:

إذا لم يكن للشيخ خمس فوائد وإلا فدجالٌ يقود إلى جهل

عليم بأحكام الشريعة ظاهراً ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل

ويظهر للورَّادِ بالبشر والقرى و يخضع للمسكين بالقول والفعل

فهذا هو الشيخ المعظم قدره عليم بأحكام الحرام من الحل

يهذب طلاب الطريق ونفسه مهذبة من قبل ذو كرم كلي

لقد بين الشيخ في هذه الأبيات بعض شروط الشيخ المربي وهي خمس. فإن لم تتوفر فيه فليس لديه الأهلية للإرشاد وهذه الشروط هي:

- أن يكون عالماً بأحكام الشريعة والدين عالم بالحلال والحرام عالم بحدود الشرع وعالم بالسنة النبوية وعالم بما علم من الدين بالضرورة وهذا معنى قول الشيخ (عليم بأحكام الشريعة ظاهراً)
- أن يكون عالماً بعلم الحقيقة والطريقة وعالم بأحوال القلوب والنفوس وطرق تزكيتها وخبير بأحوال السالكين وتدرجهم في الطريق إلى الله ويكون قد أخذ هذا العلم من شيخ مرشد كامل عبر سند متصل إلى رسول الله وهذا معنى قول الشيخ (ويبحث عن علم الحقيقة عن أصل).

✍ أن يكون كريماً سخياً مع ضيوفه والسخاء من صفات رب العالمين ومن خلق الرسول الكريم والصالحين فلا يليق بالمرشد أن يكون بخيلاً كما جاء في الحديث ما جبل ولي الله إلا على السخاء وحسن الخلق فيكرم ضيوفه ورواد زاويته دون التقصير بحق ضيافتهم وأن تدوم البسمة على وجهه وان يكون رحب الصدر وهذا معنى قول الشيخ(ويظهر للورَّادِ بالبشر والقرى).

✍ أن يكون متواضعاً للمؤمنين يخضع لهم بالقول والفعل وهذه الخصلة هي من خصال النبي حيث أمره الله فقال له (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) وكان الشيخ عبد القادر الجيلاني معروفاً بتواضعه للفقراء وكان يجلس معهم ويطاعمهم ويتجنب مجالسة الأغنياء والكبراء والأمراء والوزراء إلا إذا أراد نصح لهم وهذا معنى قول الشيخ (ويخضع للمسكين بالقول والفعل).

✍ أن يكون قد ناجحاً في تربية المريدين وتزكية نفوسهم ولن يكون له هذا إلا إذا كان قد زكى نفسه قبل ذلك على يد شيخ خبير بارع وأن يكون قد أذن له بالإرشاد والمشيخة من قبل شيخه وفق سند متصل وهذا معنى قول الشيخ (يهذب طلاب الطريق ونفسه مهذبة من قبل ذو كرم كلي).[١]

☜ مخالفات الطريقة القادرية للشريعة الإسلامية

المخالفة الأولى:

الشيخ الجيلانى يصرح بأنه هو الواحد والصمد وهما من اسماء الله تعالى وأصحاب الطريقة القادرية يؤيدون ذلك ، جاء فى كتاب الفيوضات الربانية فى المآثر والأوراد القادرية ص ٤٧ "قال الشيخ فى الشطح والتوقير (أنا الذاكر المذكور ذكرًا لذاكر ،أنا الشاكر المشكور شكرا بنعمه ، أنا السامع المسموع فى كل نعمه ،أنا الواحد الفرد الكبير بذاته ،أنا الواصف الموصوف شيخ الطريقة)"

والرد على هذا الكفر والإلحاد واضح من كتاب الله تعالى.وتكذيبه من أوجب الواجبات على كل مسلم لقوله تعالى (قل هو الله أحد، الله الصمد ،لم يلد ، ولم يكن له كفواً أحد) ولقوله تعالى : (إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون)النحل

[١].من الموقع.....

المخالفة الثانية:-

الشيخ الجيلانى يزعم أنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة الإسراء وكان مع نوح زمان الطوفان وكان مع ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار ،وأنه أطفأ النار بدعوته !! وأصحاب الطريقة القادرية يؤيدون ذلك ،جاء فى كتاب الفيوضات الربانية فى المآثر والأوراد القادرية ص ٤٧ (قال الشيخ"أنا كنت فى العليا بنور محمد وفى قاب قوسين عند اجتماع الاحبة ،أنا كنت مع نوح أشاهد فى الورى بحاراً وطوفاناً على كف قدرى. وكنت مع ابراهيم ملقى بناره وما برّد النيران إلا بدعوتى")

والرد على ذلك الإفتراء واضح وجلى من حيث البعد التاريخى بين الجيلانى وأولئك الأنبياء وهذه حقيقة لا تقبل الجدل ثم إدعائه أنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم فى قاب قوسين فهذا يكذبه صريح النص القرآنى فالآية تقول (فكان قاب قوسين أو ادنى) وذلك بصيغة المفرد فلو كان الجيلانى معه لتغيّر اللفظ إلى صيغة المثنى وصار(فكانا قاب قوسين أو أدنى)مما يتضح الكذب. أما عن إدعائه أنه كان مع إبراهيم عليه السلام فى النار فأيضاً يكذبه صريح النص القآنى فالآية جاءت بصيغة المفرد قال تعالى {قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين) فلو كان الجيلانى معه كما يزعم لتغير اللفظ إلى صيغة المثنى فكان (حرقوهما وأنصروا آلهتكم..)فبينت بطلان إدعائه . أما عن إدعائه أن النار أطفأت بدعوته فيكذبه صريح قوله تعالى (قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على ابراهيم) ولذا يتضح ذلك الزيف والضلال .

المخالفة الثالثة:-

يزعم الجيلانى أن ضريحه بيت الله لمن جاء زائراً وأصحاب الطريقة القادرية يؤيدون ذلك ، جاء فى كتاب الفيوضات الربانية فى المآثر والأوراد القادرية ص٣٣ فى الوسيلة "ضريحى بيت الله من جاء زاره، يهرول له يحظى بعز ورفعة"

والرد على ذلك الكفر أنه يدعو لعبادته حياً وميتاً وذلك لأن الطواف عبادة وتصرف لله ولا تكون إلا ببيت الله الحرام قال تعالى(وليطوفوا بالبيت العتيق) قال ابن القيم رحمه الله تعالى فى معنى قوله تعالى (والذين كفروا أوليائهم الطاغوت) الطواغيت كثيرون وعلى رؤوسهم خمس : إبليس ،ومن عُبد وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه ، ومن إدعى شيئاً من علم الغيب ، ومن لم يحكم بما أنزل الله.

المخالفة الرابعة:-

الجيلانى يزعم أن أمره أمر الله وأنه يعلم عدد نبات الأرض وعدد أمواج البحر ويعلم عدد رمل الأرض، ويعلم علم الله ويحصى حروفه!!! وأصحاب الطريقة الطريقة القادرية يؤيدون ذلك ، جاء فى كتاب الفيوضات الربانية فى المآثر والأوراد القادرية ص٣٣-٣٦ (قال الشيخ فى الوسيلة : "وأمرى أمر الله إن قلت كن يكن وكل بأمر الله أحكم بقدرتى. وأعلمنبات الارض كم هو نابت . وأعلم رمل الارض كم هو رملة ، وأعلم علم الله أحصى حروفه ، وأعلم موج البحر كم هو موجة")

والرد على ذلك الكفر اوضح من الشمس فى رابعة النهار ، أما عن إدعائه أن امره أمر الله فذلك يكذبه قوله تعالى (إنما أمره إذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) يس ، وقوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيَرة من أمره ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً)الأحزاب .

أما عن إدعائه أنه يعلم عدد نبات الأرض وعددرمل الأرض وعدد موج البحر فيكذبه قوله تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات البر ولا رطب ولا يابس ألا فى كتاب مبين) الأنعام٥٩ .

أما عن إدعائه أنه يعلم علم الله ويحصى حوفه فيكذبه قوله تعالى (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا)الكهف ، ويكذبه صريح قوله تعالى: (قل لا يعلم من فى السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون) النمل.

المخالفة الخامسة:-

الجيلانى يزعم أنه يحمى أتباعه فى الدنيا ويوم القيامة من كل شر ويدعوهم للإستغاثة به !، وأصحاب الطريقة القادرية يؤيدون ذلك، جاء فى كتاب الفيوضات الربانية فى المآثر والأوراد القادرية ص٤٧ (قال الشيخ فى الوسيلة "مريدى لك البشرى تكون على الوفاء ، إذا كنت فى هم أغثك بهمتى ، مريدى تمسك بى وكن واثقاً لأحميك فى الدنيا ويوم القيامة أنا لمريدى حافظ مما يخافه وأنجيه من شر الأمور وبلوه، وكن يا مريدى حافظاً لعهد وما أكن حاضر الميزان يوم الوقيعة")

والرد على ذلك الكفر والإفتراء من وجوه :

الأولى:

كيف يدعو الجيلانى أتباعه أن يستغيثوا به وقد قال تعالى (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون)البقرة ، وقال تعالى : (وقال ربكم أدعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين)غاف، وقال النبى صلى الله عليه وسلم "إذا سألت فسأل الله وإذا إستعنت فاستعن بالله "رواه الترمزى ، فدعاء أى مخلوق من دون الله كفر وضلال والدليل على هذا قوله تعالى(ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون، وغذا حُشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين) الأحقاف٥-٦ .

الثانى:

كيف يزعم الجيلانى أنه يحمى أتباعه من كل شر وبلوى فى الدنيا ويوم القيامة وقد قال تعالى فى الرد على ذلك الإفك(قل ادعو الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا)الإسراء ، وقال تعالى: (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو إن يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير)الأنعام١٧ ، وقال تعالى : (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين)يونس ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم : "واعلم لو أن الأمة اجتمعت على أن ينفعوك لا ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله عليك رُفعت الأقلام وجفّت الصحف "رواه الترمذى. ثم إن أفضل الخلق هو النبى صلى الله عليه وسلم لا يملك لنسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً قال تعالى (قل إنى لا أملك لكم ضراً ولا رشدا، قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولم أجد من دونه ملتحداً)الجن، وقال تعالى: (قل من رب السماوات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنورأم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شئ وهو الواحد القهار)الرعد١٦ . أما فى إدعائه بأنه يحمى أتباعه ومن تمسك به يوم القيامة يكذب قوله تعالى : (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ةالأمر يومئذ لله)الإنفطار. وقال تعالى (ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرنّكم الحياة الدنيا ولا يغرنّكم بالله الغرور)لقمان٣٣ . وقال تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم ، يوم ترونها تزهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)الحج. وقال تعالى (قل إنى أخاف أن عصيت ربى عذاب يوم عظيم)الأنعام . أما عن إدعائه بأنه يكون حاضراً عند الميزان كى ينجو مريده فيكذبه حديث عائشة

رضى الله عنها أنها قالت : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يذكر أحدٌ احداً يوم القيامة فقال:"أما فى ثلاثة مواضع فلا يذكر أحد أحدا ، عند تطاير الصحف وعند الصراط وعند الميزان حتى يعلم أيثقل ميزانه أم يخف"رواه أحمد.

المخالفة السادسة:-

إنّ أصحاب الطريقة القادرية يتعبدون بالكفر والضلال والاباطيل جاء فى كتاب الفيوضات الربانية فى المآثر والأوراد القادرية ص٣٢ "إذا وقع لك هم اخطو أحد عشر خطوة إلى جهة العراق وتقول فى الاول يا شيخ محى الدين وفى الثانية يا سيدى محى الدين وفى الثالثة يا مولانا محى الدين وفى الرابعة يا مخدوم محى الدين وفى الخامسة يا درويش محى الدين وفى السادسة يا خواجة محى الدين وفى السابعة يا سلطان محى الدين وفى الثامنة يا شاه محى الدين وفى التاسعة يا غوث محى الدين وفى العاشرة يا قطب محى الدين وفى الحادية عشر يا سيد السادات عبد القادر محى الدين ويا شيخ الثقلين أغثنى " وهذا كفر واضح بدعائه غير الله وقد سبق بيانه ، ثم إنه بدعة وتبديل لشرع الله ويكفى العمل بموجب صلاة الإستخارة التى علمناها من النبى صلى الله عليه وسلم فى صحيح الإمام مسلم.

✍ المطلب الأول: الطريقة النبوية القادرية

هي طريقة صوفية تنسب إلى الشيخ المصطفى المتوفى ١٨٨٨م . يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية وتفرعت هذه الطريقة من الطريقة القادرية التي أسسها عبد القادر الجيلاني. معظم عباداتهم وأعمالهم وسلوكياتهم وآدابهم للشيخ وغيرها مع الطريقة القادرية بيد أنها تختلف باختلاف البلاد من الآداب والأعمال والمناسبات والمجالس الذكر وغيرها. وانتشار هذه الطريقة في أنحاء سريلانكا تنحصر في البلاد الخاصة المعروفة قرابة ثمانية عشر بلدا.

مؤسس هذه الطريقة

ولد مؤسس هذه الطريقة الصوفية الشيخ مصطفى ببيروواﻻ جنوبي سريلانكا عام ألف وثمان مائة وستة وثلاثين ميلاديا (١٨٣٦م). وهو من نسب الصحابي الجليل أحد الخلفاء الأربعة ذي النورين عثمان ابن عفان رضي الله عنه.اضطر إلى أن يعيش في كنه أخته بعد أن مات عنه أبوه وأمه. ومن المشار إليه أنه كان ماهرا في بعض الفنون المتعلقة باللغة العربية.

ارتحل إلى كايالباتينام(kayal pattinam) بالهند وهو ابن اثنتي عشرة سنة حيث نبغ في فنون شتى من التفسير والفقه والحديث وغيرها . ولاسيما كان له رسوخ قدم في الفقه الإسلامي . وقد تتلمذ الشيخ على يد العلامة المشهور بلبي عالم كما أن الشيخ مصطفى رحمه الله صار تلميذا خاصا للشيخ المفتي إمام المسجد الحرام شيخ الإسلام زين الدهلان بعد أن سافر إلى مكة المكرمة لطلب العلم الشرعي إضافة إلى أنه درس فيها أيضا على يد الشيخين حزب الله المكي وعبد الحميد السرواني رحمه الله .

أخذ الشيخ يتحرك بالدعوة إلى الله بعد أتم الدراسة في الهند . وفي هذه الفترة وجد الشيخ فرصة للقاء الشيخ أحمد مبارك اليمني الذي ينتسب إلى حضر موت حيث أقر الشيخ مصطفى بالشيخ أحمد مبارك كأستاذه الخاص. والشيخ أحمد مبارك هذا كان مؤسسا للطريقة النبوية الصوفية كما أنها اشتغلا بالدعوة أنحاء سريلانكا حيث ذهبا إلى جالي (galle) ومالوانا (malwana) وكاهاتوويتا (kahatowita) وغيرها حتى أنشآ فيها مراكز دعوية يقام فيها بالدعوة.

وكان له باع طويل في تأسيس الطريقة النبوية القادرية الصوفية في بيروواﻻ. ثم لقي الشيخ أحمد مبارك نحبه عام ١٨٦٢م ودفن بقرب جامع تالابيتي(thalapitiya) بجالي . وأخذ الشيخ مصطفى يشتغل

بمنصب رئاسة الطريقة النبوية القادرية الصوفية إثر وفاة الرئيس أحمد مبارك حسبما سمح له بذلك الشيخ أحمد مبارك رحمه الله.

ومن الملاحظ أن إتمام قرائة الصحيح البخاري سنويا ابتدأت في مبنى البخاري في بيروالا عند زيارة العلامة اليماني مولانا الأهدل لدولة سريلانكا.وكان الشيخ مصطفى يكثر من زيارة مكة المكرمة حيث أصيب بالحمى الشديدة أثناء زيارته إياها في المرة السادسة حتى شرب كأس الموت فيها في عام ١٨٨٨م من شهر يوليو ، ودفن بجنة المعلى بقرب قبر السيدة خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

العقيدة أهدافها واتجاهها:

وأسست هذه الطريقة الصوفية بهدف إعادة الناس إلى دينهم الذي ارتضاه لهم ربهم. وفي مر الزمان انحرفت عن هدفها إلى أن توجهت إلى عبادة الفرد الذاتي حتى صارت أتباعها إمّعين لأقوال شيخهم ورئيسهم، فظهرت آثار التقاليد والانحراف.

وفي الحقيقة هذه الطريقة تفرقت عن أصالة الطريقة القادرية لدرجة أنها تتصف بعدة ما في القادرية كما أن أتباعها يقرون بكل رحابة صدر بكرامات تذكر عن الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلاني بلا أي إنكار كما يدعونه بوصف " محي الدين الرب " - والعياذ بالله - إضافة إلى أنهم ينادون بـ " يامحي الدين" بدل " يالله" عند سقوطهم على الأرض – والله المستعان- تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

والكتب المعتمد عليها عندهم في معظم أمرهم من الأفكار وغيرها هي المشهور عندهم بـ "عقد مبارك" و " عقد ميزان " المكتوبة بالتامل بالحروف العربية .وأنهم إن ادعوا أنهم مقتدون بها ما في القرآن والسنة النبوية ، إلا أن عبادتهم وتقاليدهم تنبني على إرشادات وتعاليم شيوخهم.

وأما عادتهم في الصيام أنهم يصومون على خلاف الوقت الذي يصومه أهل البلد حيث يعجلون صيامهم كما أنهم يفطرون بعد قرائة الدعاء بعد الأذان خلاف ما عليه الكتاب والسنة . ومن عاداتهم أنهم يصومون بحسب تقدير نجومي حيث يعلنهم شيخهم بمجيئ شهر رمضان وكذا الاحتفال بعيدين ، رغم أن من العجب أنهم يدعون بأنهم إنما يقدرونها بالحساب المكي كما أنهم يمتثلون عبادات أحدثت في الدين التي تخالف عقائد وآراء أهل السنو والجماعة.

بعض آرائهم العقدية الباطلة:

أتباع هذه الطريقة يقصدون الذين يعملون الطلاسم حيث يكتبون أشياء في الأسفار كما يفعله الكهنة وغيرهم ، لدرجة أنهم يتعاملون حسب ما يوصون به إضافة إلى أن التباع إن بدا لهم زيادة المرض يعلقون التمائم من أجل التبرك بها.

قوله صلى الله عليه وسلم: "**من تعلق تميمة فقد أشرك**"

وكذا ينذرون أشياء لمعبدهم الذي يعرف باسم " التكية " لا سيما الشياه والملح كما أنهم يوفون بنذورهم كيفما شاؤوا. وإذا أصابهم مرض يشربون الماء المأخوذ من البئر التي داخل معبدهم كما نفعل ذلك بماء زمزم لقول النبي صلى الله عليه وسلم " الماء زمزم لما شرب له" . معتقدين أن فيه بركة عظيمة.ويضعونه في بيوتهم مع أنهم يتبادلون طعامهم التقليدي بين أهلهم تبركا به . ويأتون إلى مدينة جالي لزيارة قبر الشيخ أحمد مبارك بأطعمة شتى ويتضرعون إليه .

الشيخ والمريد:

لا شك أن أتباع الطريقة النبوية يقلدون شيخهم حيث يخبطون خبط عشواء في امتثال أوامره بدون أي إنكار متى ما أمرهم كيفما أمرهم . ويستأذنون شيخهم لمفاوضات عقد النكاح . حيث يسلمون إليه أول بطاقة عقد النكاح . والشيخ هو الذي يقدر مبلغ نحلتهم. زكذا يقصدون عند ولود الولد والتسمية والتحنيق وغيرها كما يخبرونه بكل ما من مناسبات الفراح .

كما أن الصحابة كانو يخفضون أصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتنب مريدوا الطريقة النبوية رفع الصوت قدام شيخهم ولا يسمحون لأحد برفع الصوت أمام الشيخ. ضافة إلى أنهم لا يدبرون عندما يرجعون عن مجالس الشي . والخصال التي أسلفنا القول فيها أول الكتاب أثناء مخاطبة الشيخ للمريد تحت موضوع " الخضوع لأقطاب التصوف " لم تزل مراعاة من قبل المريدين إلى الآن.

والذين يسوقون الدراجات لا بد أن ينزلوا منها وأن يمشوا على أصدامهم عندما يجاوزون بيت شيخهم.ويبغضون غضبا على من يخالفه، وعندما يقصد الشيه المسجد من بيته يخفى رأسه في شمسية ، وحين يعبر الشيخ الطريق يمنع كل من يمر على الطريق حتى يصل الشيخ.

وبعبارة أخص أن كل من أتباعهم أيا كان من الأغنياء والأشراف والسادات وغيرهم كل منهم لا بد ان يكون واضعا رأسه أمام شيخهم الأعظم تقديرا وتكيما وتعظيما له.

ومن المشار إليه أن لديهم ملابس تقليدية ذات ميزة عن الآخرين لكبيرهم وصغيرهم وذكرهم وأنثاهم من المحبين والمريدين . كما أن من عادات رجالهم أنهم يتمثلون محلقي اللحية على خلاف ما عليه الكتاب والسنة.

والجدير بالذكر هنا أن الذين على خلاف ما عليه من الأتباع من اللباس يسمحون للمشاركة لمناسبتهم من الطعام التقليدي والأفراح والمناسبات الإجتماعية وغيرها رغم أنهم ليس من عاداتهم دخولهم في بعض المباني الخاصة لأتباعهم. كما أن العريس منهم يتمثل على لباس خاص معين له من الإزار وقميص أبيض وقلنسوة بيضاء ومعطف أبيض . كما أن المريدين يلبسون قلانس تركية حمراء لمناسباتهم.

مناسباتهم وأفراحهم:

يتم قرائة صحيح البخاري سنويا منذ زمن قديم حيث يعقد مناسبة يوزع فيها الطعام وتستمر إلى ثلاثين يوما إثر تمام قرائة صحيح البخاري مع أن المريدين يشاركون في هذه المناسبة لابسين طسوتهم التقليدية ، ويسلمون الثمار التي يقطفون أول مرة في الشجرة تبركا به.

ومن المعلوم أن المناسبة تعرف بـ " مناسبة البخاري" تعقد سنويا في معبدهم حيث يشارك فيها آلاف الأشخاص من الرجال والنساء والشاب والفتيات رغم أن من العجب أن الطعام الذي سوزع فيها إنما يحصل ذلك بإشارات معلومة لديهم بدون أي ضوضاء ولو يسيرا.

عند حضور اليوم المعين لهذه الحفلة عطلت جميع المدارس الحكومية بقرب معبدهم في بيروالا إلى يوم أو أكثرحيث يفدي أتباع هذه الطريقة بسهمهم إلى المعبد كما أنهم يألفون حيوانات مختلفة منذ أن نذروا إلى إهدائها إلى المعبد بنية أنها قربة يتقرب بها العبد إلى الله. في حين أن البعض الآخر يعطي بعض الحيوانات من الشياه والدجاجات وغيرها المعبد يعد أن اشتروها وفاء بنذرهم إضافة إلى أ ن المعبد في هذه الأيام تكون ممتلأة بالتزيينات كما أن الدكاكين تفتح طول الطريق الرئيسي إلى المعبد مع أن الطريق اضاع فيها المصابيح المشاعل أيام جريان هذه الحفلة كلها بأن الناس يشاركون فيها بكل فرح وسرور كما يحتفل المسلمون بعيدهم.

وإذا حضر شهر ربيع الأول تقام مجالس يقرأ فيها بمولد النبي صلى الله عليه وسلم استمرارا من أول الشهر إلى الثاني عشر بمناسبة مولد النبي صلى الله عليه وسلم حيث يوزع أنواع من الطعام وتعقد عديد المسابقات والمحاضرات ، ويمثل هذه المناسبات شخصيات بارزة من الهند .

وكما أن شهر ربيع الأول يعقد فيه حفلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم يقام في شهر ربيع الآخر بمناسبة محي الدين عبد القادر الجيلاني الذي يتفق على ولائه من غير أي إنكار إلى عشرة أيام يوزع في كل واحد منها أنواع من الأطعمة ، ويحتفلون هذه الأيام كأيام العيدين . ويلبسون الملابس الجدد في هذه الأيام.

وكذا ينعقد بينهم مجالس معروفة لديهم من وتريا ومجالس بردة في كل ليالي يوم الجمعة كما أنهم يعقدون مجلس الذكر.

ويتضح لنا أن عقائدهم باطلة عباداتهم يخالف الكتاب والسنة.

☜ الأماكن التي يعيشونها:

وإن كان أتباع هذه الطريقة ينتشرون أرباع الجزيرة إلا أنهم يمثلون أغلبيين في محافظة جالي (galle) وبالابيتي (balapitiya) وتوندو (thunduwa) وبانادورا (panadura) ومالوانا (malwana) وكاهوتوويتا (kahatowita) وويانجالا (viyangalla) وويليبانا (welipanna) وأتلوجاما (atlugama) وغيرها . بيد انهم يقصدون عن بكرة أبيهم معبد البخاري الذي ببيروالا التي هي المكتب الرئيس لهم عند مناسبة تمام قرائة صحيح البخاري .

ومما يبدو أن لديهم علاقات سرية وثقة بدولتي العراق وإيران تؤيده تحركاتهم وتصرفاتهم.

المبحث الخامس: ظهور عقيدة وحدة الوجود في سريلانكا.

عقيدة وحدة الوجود:

وحدة الوجود عقيدة إلحادية تأتي بعد التشبع بفكرة الحلول في بعض الموجودات، ومفادها لا شيء إلا الله وكل ما في الوجود يمثل الله عز وجل لا انفصال بين الخالق والمخلوق، وأن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى ليس وجودها غيره ولا شيء سواه البتة، وهي فكرة هندية بوذية مجوسية.

وهذا هو المبدأ الذي قام عليه مذهب ابن عربي الذي قال: سبحان من خلق الأشياء وهو عينها، وتجرأ على تفسير كتاب الله بغير علم فاستدل بآيات من القرآن الكريم زعماً أن الله أطلق اسم الوجود على نفسه كما في قوله تعالى: {وَوَجَدَ اللهَ عِندَهُ} [١] ، {لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً} [٢] ، {يَجِدِ اللهَ غَفُوراً} [٣] ، واستدل بأحاديث موضوعة مثل حديث: "من عرف نفسه فقد عرف ربه".

وهذا الاستدلال من أغرب وأنكر ما تلفظ به قائل.

إذ كيف يتأتى لهم القول أن القرآن والسنة يدعون إلى الإلحاد والكفر بالله؟ ولا شك أن هذه العقائد الإلحادية قديمة جداً في العبادات الهندية والديانات البوذية. وقد انقسم أصحاب هذه المبادئ الإلحادية إلى فريقين:

الفريق الأول: يرى الله سبحانه وتعالى روحاً وأن العالم جسماً لذلك الروح، فإذا سما الإنسان وتطهر التصق بالروح أي الله.

الفريق الثاني: هؤلاء يزعمون أن جميع الموجودات لا حقيقة لوجودها غير وجود الله، فكل شيء في زعمهم هو الله تجلى فيه .[٤]

والإسلام بريء من هذه الأفكار المنحرفة الخرافية كلها {هُوَ الأول وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ} [٥]، وهؤلاء يقولون أن الله ما دام هو أصل وجود هذه الممكنات المشاهدة فكأن الموجودات في حكم العدل، والوجود الحقيقي هو الله الذي تجلى في أفعاله ومخلوقاته، وبالتالي فإن العقائد كلها حقائق والناس لا

---

[١]. سورة النور: ٣٩.
[٢]. سورة النساء: ٦٤.
[٣] سورة النساء: ١١٠.
[٤]. الصوفية معتقداً ومسلكاً ص ٢٠٦ - ٢٠٧، نقلاً من التصوف الإسلامي والإمام الشعراني للأستاذ طه عبد الباقي سرور: ٨٩/١.
[٥]. سورة الحديد: ٣.

خلاف بينهم حقيقة، والديانات كلها ترجع إلى حقيقة واحدة، هذا ولا شك أنه خلط وانحراف شنيع أدى بمن أعتنقه إلى خذلان المسلمين وترك أمر الجهاد.

ولهذا نجد أن المستشرقين اهتموا كثيراً بدراسة ظاهرة التصوف؛ لأنها تحقق أهدافهم في إلهاء المسلمين وتفرق كلمتهم، وبالتالي فإنهم وجدوا فيها معيناً لهم على نشر الإلحاد وإنكار النبوات ونبذ التكاليف الشرعية والدعوة إلى القول بوحدة الأديان وتصويبها جميعاً مهما كانت، حتى وإن كانت عبادة الحجر والشجر.

والواقع أنه ما من مسلم يشك في كفر أو ارتداد من قال بوحدة الوجود، وعلماء الإسلام حين حكموا بكفر غلاة المتصوفة من القائلين بوحدة الوجود والحلول والاتحاد حكموا أيضاً بكفر من لم ير تكفيرهم. ولقد قال شيخ الإسلام عن هؤلاء: "إن كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى ومشركي العرب".

وابن عربي من أساطين القائلين بوحدة الوجود والحلول والاتحاد وصحة الأديان كلها، مهما كانت في الكفر إذ المرجع والمآل واحد، ومن هنا فهو يقول:

عقد الخلائق في الإله عقائداً ... وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

ويقول:

العبد رب والرب عبد ... يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك رب ... أو قلت رب فأنى يكلف

ولابن عربي في كتابه "فصوص الحكم"، وكتابه الآخر "الفتوحات المكية" من الأقوال في وحدة الوجود ونفي الفرق بين الخالق والمخلوق وثبوت اتحادهما تماماً أقوال لا تكاد تحصر نثراً ونظماً.[١]

[١].فرق معاصرة ج ٢

🕮 ظهورها في سريلانكا :

مؤسسها الشيخ عبد الرؤوف:

ولادته:

وولد عبد الرؤوف عام ألف وتسع مائة وأربعة وأربعين ميلاديا الموافق للخامس من فبراير وهو أسن ولد الشيخ عبد الجواد الذي هو من كاتانكودي (kathankudi)

عصر التعليم:

وأخذ الشيخ عبد الرؤوف دراسته الابتدائية عن والده في المدرسة الربانية إلى أن لحق بكلية بهجة الإبراهيمية التي بقلعة جالي عام ١٩٥٨ كما تعلم سنة في كلية الدينية التي تقع في بانادورا (panadura) وبعد ذلك رحل إلى الهند سنة ١٩٦٥ ليدرس في مدرسة مصباح الهدى مما أدر إلى نيل شهادة مصباحي.

ثم تخرج في إحدى المدارس المشهورة في الهند الباقيات الصالحات منذ سنة (١٩٦٩-١٩٦٨) مما تأهل للتدريس والزعامة في عديد من المراكز في حين أنه كان ماهرا في الدراسة ،وكان عميد كلية منبع الخيرات منذ سنتين (١٩٧٢-١٩٧٠) كما أنه كان مدير كلية الجفرية في جالي.

ومن المشار إليه أنه ارتحل إلى المدينة لمواصلة دراسة الثانوية في الجامعة الإسلامية سنة (١٩٧٧-١٩٧٦) إضافة أنه رجع إلى دولته ولم يتم الدراسة والتحق في المدرس الربانية التي أسسها أبوه ، وكان مدير كلية الربانية منذ (١٩٨٥-١٩٨٠) .

وكان لديه آراء غير واضحة من بعض المسائل المتعلقة بالعقيدة منذ أول دراسته في كلية بهجة الإبراهيمية مما أسفر بعض المناهج المقررة في المدارس القديمة عن نضج فكر وحدة الوجود, وكان من مقدمتها من المناهج المقررة في البهجة الإبراهيمية كتاب نور الظلام وكان الشيخ عبد الرؤوف يقاطع كلام من يفسر الصفات الازمة بذات الله حيث يسأل ما وحدة الوجود؟ وما ماهيته؟ مما ينكشف لنا بوضوح أنه تأثر بعقيدة وحدة الوجود ، ولكنه لم يشتهي أي كتاب يتعلق بعقيدة وحدة الوجود لأن شيخه لم يكن لديه معرفة عن تلك العقيدة الضالة ، وقاله في مجلته "هامووبست" () .

ووقع بينه وبين شيخه أيام دراسته في كلية الدينية حوار وكان من خبره أنه عرض على شيخه أنه وجد الإمام عبد الكريم الجيلي رحمه الله عند نظره فيه يسرد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قد رأيت الله يتمثل بصورة شاب جميل فقال له شيخه هذا الكتاب كتاب في حال الإسكار فلا يصلح للقراءة ، وسأله وإن كان كذلك لا بد أن يكون فيه الأخطاء النحوية كما كان في الآراء أخطاء أخرى ، ولما أراد شيخه أن يضربه قام فذهب.

ويمكن المعرفة بقراءة هذه القصة بأنه كان لديه عقيدة وحدة الوجود علما بأنه أثرت فيه عقيدة وحدة الوجود حيث رحل إلى الهند بعد أن درس في كلية الدينية .

ويذكر الشيخ عن حياته كما يلي :

"رحلت إلى الهند لمواصلة الدراسة بعد أن درست في كلية الدينية ودرست هناك ثلاث سنوات وبينما أنا كذلك إذ وجدت فرصة لمعرفة الله في حين أن أستاذتي من له إلمام بذات الله فأخذت عنهم ما الحكمة الإلهية ؟ كما أخذت عن بعض علماء البارزين في الهند الحكمة الإلهية".

ومما ينكشف لنا أنه أخذ بحظ وافر من عقيدة وحدة الوجود حينما كان يدرس في كلية مصباح الهدى التي تقع في الهند منذ ثلاث سنوات إلى سنة ١٩٦٥ م إضافة إلى أنه كان له علاقة قوية بالمتأثيرين بهذه العقيدة ، مما مهد الطري للتضلع منها ، ولعل من الأسباب لانجذاب قالبه إلى هذه العقيدة أنه مهد له المناهج المقررة في كلية مصباح الهدى الطريق من جميع الجوانب.

والتحق بالجامعة الإسلامية التي تتواجد في المدينة المنورة حيث قام بدراسة دقيقة عن الآراء المتعلقة بالفلسفة أيام دراسته في دولتي سريلانكا والهند.

ويقول الشيخ عن لحوقه بالجامعة الإسلامية كما يلي:

التحقت بالجامعة الإسلامية المتواجدة في المملكة العربية السعودية ودرست فيها عاما كاملا حيث كانت تقوم بعقيدة الوهابية إلى حد أنها تعرف قراءة المواليد والتوسل إلى الله والتلقين والقيام بمأدبة للشيوخ وترقية الراية وغيرها بأنها أعمال شركية كما عرفت بعض الكتب التي كتبها الأولياء مثل الفتوحات المكية, والإنسان الكامل, وروح البيان ، - بأنها كتب ذات ضلال كبير- وكل هذا جعلني أعود إلى بلدي.

ويتضح لنا عبر موقفه من العقيدة السلفية والجامعة الإسلامية مدى تأثره بعقيدة وحدة الوجود .ويصف الشيخ عبد الرؤوف حالته بعد أن رجع من المدينة كما يلي :

" عرفت بالحكمة والإلهية بكل وضوح وجلاء حيث سألت أبي الشيخ عبد الجواد والشيخ عبد القادر الصوفي وبعض العلماء الكبار مما جعلني أنظر في بعض الكتب مثل الفتوحات المكية ،والإنسان الكامل، ووح البيان ، والتحفة المرسلة ، وتكبير الأصول . وبدراسة هذه الكتب انكشفت لي حقيقة الحكمة ودور الحكمة الإلهية في تقريب الإنسان إلى الله وأهمية النظر فيها".

ويشير الشيخ إلى ما يمهد الطريق لمعرفة الله من معرفة التصوف والتوحيد ، مما يتوضح أنه عني بمعرفة عقيدة وحدة الوجود عناية شديدة بعد رجوعه من المجينة وقام بدراسة بعض الكتب التي تشتمل على أمور متعلقة بالفلسفة توجه آراء تخالف ما عليه الكتاب والسنة كما رآه العلماء الإسلام .

عبد الرؤوف وعرض الآراء:

وقد سبق ذكر اشتغال الشيخ عبد الرؤوف بوحدة الوجود وعلى ذلك لا بد من بيان خاص عن نفوذه لدى الناس مع الإشارة إلى حالة البيئات هناك قبل عرض الآراء.

وكان للشيخ عبد الرؤوف نفوذ عظيم لدى الناس بعد رجوعه إلى كاتانكودي وعده الناس من أعظم العلماء المتواجدين في كاتانكودي إلى حد أنه كان يدعو كمحاضر شريف إذا كان يوم برنامج دعوى ، وفي هذه الحالة اختلط على الناس أمره بعد أن عرض عليهم آراءا مخالفة للعقيدة الإسلامية في خطبة قام بها قرب المقبرة في كاتانكودي سنة(١٩٧٦).

وكان كلامه قد أحدث مشكلة كبيرة بين الناس حتى إن بعض العوام تعرضوا لقلق نفسي حيث كان كلامه يوهم الإيمان حتى إنهم أصدروا تقريرا يطالبون به جمعية العلماء في كاتانكودي بالإيماء إلى الصحة والخطإ ، وبعد إصداره بأسبوع أصدروا أيضا تقريرا تنديدا لجمعية العلماء لأنها لم تأبه بالإشارة إلى الصحة.

وكان الشيخ عبد الرؤوف قد أشار إلى هذه الآراء التي تورث العداوة إضافة إلى أنه كان بعد ذلك يوجه آراءا مختلفة مورثة للعداوة .هذا، وأعد الشيخ بيانا خاصا ليلة رمضان سنة (١٩٧٦) بعد صلاة التراويح ما يلي من الآراء:

" وذات يوم دعا الشيخ محي الدين حارس النار مالك عليه السلام وسأله هل دخل أحد من مردائي النار فقال مالك عليه السلام لم يدخل النار أحد حتى الآن ، وما إن أتى أحد يدخل النار حتى منعته ، وأردف قائلا لا بد للصلاة من معرفة الله ولا تكون معرفة الله إلا بالتأسي شيخ ، حيث أشار إلى أنه الصلاة مع عدم التأسي بشيخ كريم لاتجزئ ، وأن من يظن بشيخه سوءا يلقى عند وفاته مشاقا كبيرة ، وأن شيخا لايزال يقول اللهم أدهن رأسك وأسرحه ، وليس هذا بخطإ مما جعل المسلمين المتواجدين في كاتانكودي يستفسرون جمعية العلماء عن طريق الرسائل واللقاء بأمل معرفة الحقائق تحت ضوء القرآن والسنةحيث كانت آراء المستمرة لديهم قد أحدثت مشكلة كبيرة.

واعتنى الشيخ عبد الرؤوف بالحصول على تأييد السكان المتواجدين في حيّه كما حاول إنشاء طائفة مؤيدة لآرائه منذ سنة (١٩٧٦) علما بأنه قام بتغسيل الدماغ تلك الطائفة حيث فسر عن آرائه تفسيرا كاملا مما تمكن من عقد برامج بتعاونهم مثل حتم القرآن وقرائة الموالد وترقية الراية بأمل إحياء جميع الأعمال المتعلقة بالتخلف . ومما يشار إليه أن الشيخ عبد الرؤوف وأعوانه استبدلوا أداء صلاة الظهر بصلاة الجمعة من غير أن يشاركوا في صلاة الجمعة التي عقدتها جمعية العلماء في كاتانكودي.

وعرض الشيخ عبد الرؤوف على الناس بعض النقاط عبر خطبته التي قام بها قرب سوق كاتانكودي عندما شارك في حفلة مولد النبي التي استضافها عبد الكريم وهي كما يلي:

١- أقول لكم عن طريق دلائل القرآن والآراء الفلسفة التي في حديث النبي إن محمدا صلى الله عليه وسلم هو قوة متمثلة بصورة الله والذي يعرف النبي هو الله يقطع عنقه من قبل علماء الإسلام ، وكان الأولياء السابقون يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم بأنه هو الله من غير أن يخافوا من عقوبة أحد ونجد بعض الناس يكتمون الحق مخافة أن يأتيهم من العلماء شيئ من الاستنكار حيث لم يتبين لهم كنه هذا الأمر ولا شك أن الله يتمثل بصورة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم – والله المستعان -

٢- عندما رأى جبريل عليه السلام رجلا ينام في غار حراء واضعا يده على جبينه ألجأه العجب إلى الفكر لأنه ما يجد هناك إلا الله الذي أرسله .

٣- نحن نقول إن محمدا هو الله الذي تمثل بصورة الإنسان وهذا ليس أمرا يتعارض مع الشريعة فلا ينبغي لأحد أن يظن أن الله ليس له أي صورة.

٤- تمثل الله تعالى بصورة محمد لهداية الإنسانية إلى ما فيه صلاحها حيث لا يتمكن من النزول إلى الدنيا بدون أن يتمثل بصورة مما يظهر إثبات الجسم لله ، ولا يكمل إيمان شخص إلا إذا اجتمع معه هذان الأمران ، ومما يفهم منها أن الله لم يكن له صورة في الحقيقة وتمكن بخلق نور محمد صلى الله عليه وسلم من الظهور بأي صورة شاء .

٥- مما يتضح لنا عبر تسوية الله كل شيئ أنه هو المتمثل بصورة كل شيئ حيث شاء.

٦- احتاج الله تعالى إلى التنكر حيث لا يعرف لتحويل الناس إليه مما تمثل بصورة محمد.

٧- أين الله هل هو في المدرسة ؟ أو في البلد ؟ أو في مكة المكرمة ؟ بل هو في كل مكان حتى الغائط والصديد إذا خطر ببال أحدكم وجوده فيهما ويقول الشيخ "بير محمد " إن الله موجود في لبن الخنزير ولبن الكلب.

وهذه الآراء التي ألقاها الشيخ عبد الرؤوف حيث شارك في حفلة مولد النبي صلو الله عليه وسلم سنة ١٩٧٩م أدت إلى اندلاع المشاكل بين الناس ووقوع الأوهام في العقائد الإسلامية.

هذا ، ولما رفع أمر الشيخ إلى جمعية العلماء العامة في كولومبو اجتمع رأيهم على عقد مؤتمر عام يشارك فيه العلماء المرموقون في أرباع البلاد كما دعوا الشيخ عبد الرؤوف للمشاركة في هذا المؤتمر غير انه لم يشارك فيه وقاموا بإذاعة كلامه عن طريق مكبر الصوت حتى تمكن مواطنوا كاتانكودي من تأكيد كلامه وبعد ذلك حكم عليه العلماء بالارتداد عن الدين حيث رأوا آراءه مخالفة لما عليه القرآن والسنة.

أسلوب الشيخ عبد الرؤوف في الدعوة منذ سنة (١٩٩٠-١٩٨٧).

وأخذ الشيخ عبد الرؤوف يبالغ في التحرك في الدعوة من شدة أسفه على أن دائرة الديانة للمسلمين تأكدت من صحة الحكم عليه بالارتداد في حين أن جمعية العلماء كانت قد حكمت عليه وأعوانه بالارتداد عن الدين غير أنه لم يجد بذلك سبيلا لنيل هدفه .

ولم يتمكن الشيخ عبد الرؤوف من تحقيق هدفه حيث حاول العلماء محاولة قوية تعريف آراءه لدى جميع المواطنين مما أدى إلى نقصان تأييده ولما علم بذلك أراد انشاء تغيير في موقفه حيث حاول إلقاء نظره على الشؤون التي كان مواطنوا كاتانكودي يواظبون عليها أجيالا خلف أجيال مثل مجالس مولد النبي والبرامج للمأدبة وترقية الراية مما تمكن من صرف وجوه الناس إليه.

وكان يحضر مأدبة خاصة باسم الشيخ أمير محي الدين الجشتي كل سنة كما كان يقرأ المواليد منذ ثلاثة عشر يوما ويحضر مأدبة كبيرة في آخر أيام قراءة المواليد.

ومما يشار إليه أن الشيخ عبد الرؤوف وأعوانه كانوا يتحدثون ساعات طويلة عن الأعمال الخاصة التي اختص بها الأولياء بأمل صرف وجوه الناس إليهم علما بأنهم كانوا يزينون المسجد بفتح المصابيح حيث عقدوا برامج حول عنوان الديانات البوذية والمسيحية رغم أنها مخالفة للشريعة الإسلامية مع أن عديدا من النساء شاركن في تلك البرامج ،وكذلك وجدوا تأييد الحكومة لهذه البرامج حيث طلبوا الحزب الاتحاد الوطني والرئيس الأسبق "بيريماداسا" (premadasa) بإعطاعها الجوار مستندين إلى أنهم يدعون لعناصر الجيش ورؤساء الدولة.

وكان الشيخ عبد الرؤوف يعرض على الناس مع أعوانه أكاذيب باطلة تأباه العقول ، وكانوا يشيرون جميعا إلى عرض الحوائج على الأولياء بدون عرضها على الله حيث يفسرون ما في القرآن والسنة كما رأته عقولهم مما أدى إلى صعف إيمان الناس . وكان يستهدف الحصول على المال لنشر دعوته بإجراء هذه البرامج حيث رأى من أنسب الذرائع له عقد حفلة المادبة إضافة إلى أنه كان يكسب مبلغا كبيرا من المال مما استطاع بذلك نشر دعوته بكل حذر وتيقظ.

هذا، وأخذ الشيخ عبد الرؤوف يواصل دعوته في حين أنه كان قد وقفها أياما حيث غيّر اسم دعوته بعد أن أتاه من الناس بعض المشاكل وبينما هو كذلك لم يحصل على وافر المال لنشرها على أتم وجه مما حاول معالجة كل مذهب في كسب المال حيث رأى من أهم الوسائل له الحرب التي قامت بين دولتي العراق وكويت ، وكان من ذلك الخبرأنه أيد دولة العراق في الحروب الثلاثة العظيمة التي قامت بينها وبين دولة كويت.

وكذلك أخذ عديد من الناس تضرروا من المشاكل العرقية سنة ١٩٩٠م ينتقلون إلى دول الشرق الأوسط ، وبعد رجوعهم إلى البلد انتهضوا ضد دعوته الباطلة كما أبطلوا ما هو من الأعمال الشركية من مثل ختم القرآن والمأدبة وقراءة المواليد مما أسفر عن وقوع تغيرات عديدة بين العلماء خاصة لدى المدارس العربية في حين ان الأخذ بالتيقظ قد شاع وذاع . ومما يشار إليه هنا أن كثيرا من الذين تخرجوا في كلية جامعة الفلاح الواقعة في كاتانكودي ذهبوا إلى الجامعة الإسلامية التي تقع في المدينة وكذلك جامعة الإمام الملك السعود وجامعة الأزهر لمواصلة دراستهم كما تخرج أكثر الطلاب المتواجدين في كاتانكودي في الجامعة النظيمية ببيروالا إضافة إلى أنهم تخرجوا فيها حيث دققوا النظر في عقيدة وحدة الوجود مما

حاولوا بذالك إنشاء مركز يعتني بشؤون المسلمين بعد أن شخصوا جميع العمليات التي تشوه الإسلام بأمل الذود عن حرمته.

وعلى امتداد الزمان أخذت جهود المركز الواقعة في كاتانكودي تتزايد بسرعة غريبة حيث كانت تستهدف قمع البدع الباطلة بين المجتمع مما أسفر عن احتراق الشيخ عبد الرؤوف غضبا.

☜ المناطق التي فيها نفوذ عظيم لعقيدة وحدة الوجود

إقليم الشرق :

ذلك الإقليم الذي يمثل فيه المسلمون أغلبية المواطنين فيه نفوذ عظيم لعقيدة وحدة الوجود خاصة في منطقة "بيتيكالو"(beticalo) ومنطقة "أمبارا" (ampara).

ومن الجدير بالذكر أن عقيدة وحدة الوجود كانت ذائعة جدا في منطقة كاتانكودي وما جاورها من القرى الصغيرة مثل " بالامونا " (palamuna) و "مانمونا" (manmuna) وكذلك منطقة " إيراوور" (eravur) وبعض القرى من منطقة : ترينكومالا " (trincomale) ومنكقة : أمبارا " (ampara) إضافة إلى أن انتشار هذه العقيدة في أنحاء سريلانكا ينحصر في البلاد الخاصة مثل " كالمونا " (kalmuna) ، " مارودامونا " (maruthamuna).

المطلب الأول: طريقة المفلحين.

طريقة المفلحين :

ومما يشار إليه هنا بضرورة أن منطقة مارودامونا هي الأخرى التي فيها قوة واثقة لهذه العقيدة حيث إن مؤسسها الشيخ عبد الله فيلوان ويستفسر عنه في هذا المجال.

ولد الشيخ عبد الله فيلوان في مارودامونا ولم يتحرك بدراسة أي مجال بعد أن أتم دراسته في إحدى المدارس الحكومة ولم يكن لديه أي علاقة بأحكام الإسلام ، ولكنه كان له علاقة قوية بالشيخ عبد الرؤوف في العصور السابقة حيث أيد آراءه بتدقيق النظر فيها وتصحيحها ، وهو أول من عرف آراء الشيخ عبد الرؤوف بين مواطني مارودامونا ، وعلى امتداد الزمان أخذ الشيخ عبد الله فيلوان يقوم بدعوته بشكل مختلف حيث فارق الشيخ عبد الرؤوف لبعض المشاكل التي حدثت بينهما .

وأسس الشيخ عبد الله فيلوان مركزا سماه طريقة المفلحين ، ووجد بذلك سبيلا لنشر دعوته الباطلة بعد مفارقته الشخ عبد الرؤوف كما جمع لديه أعوانا يعينونه على مهماته مع أن آراءه منتشرة في منطقة مارودامونا.

هذا، وتعود عقد البرامج والفصول الإضافية في بيته شهريا وأسبوعيا لنشر أفكاره الدخيلة مع أنه أصدر من الكتب ما يلي:

- هل تعرف حقيقة الإيمان
- قضاء القرآن

وهذان الكتابان يتعارضان مع العقيدة الإسلامية وتنافي أصول الشريعة الإسلامية .

ومما يشار إليه أن جمعية العلماء حكمت عليه بالارتداد بعد تدقيق النظر في كتاب " هل تعرف حقيقة الإيمان " غير أنه قدم إلى المحكمة العليا خصومة تجاوز حقوق الإنسان ضد هذا الحكم مما أسفر عن إلغاء هذا الحكم من قبل جمعية العلماء السريلانكية لبعض المشاكل القانونية.

ولا شك أنه مرتد صافي عن الدين الصحيح أمام نواظر المؤمنين المتسمين بأقوم عقيدة وإن أنكر ذلك دستور الحكومة سريلانكا.

والكتاب الآخر المسمى بقضاء القرآن يمثل كتابا يفسر معاني القرآن الصادقة بخلاف ما عليه مما يتضح بتدقيق النظر فيه مدى جاهليته ، وهكذا يواظب الشيخ عبد الله فيلوان على نشر دعوته الباطلة رغم أن لديه قلة البضاعة عن الإسلام وعقيدته الصحيحة .

ويبلغ عدد من يصحح آراءه حتى اليوم في بعض البلاد مثل مارودامونا وكاتانكودي وكالمونا خمسمائة . وكلهم يشاركون في البرامج التي يترأسها عبد الله فيلوان حيث أنهم سجلوا أسمائهم في مؤسسة طريقة المفلحين . ومن الجدير بالذكر أن هذه المؤسسة أسست مسجدا خاصا لشؤونهم .

هذا ، ويقوم الشيخ عبدالله فيلوان بممارساته حول نشر آرائه المنتهكة لحرمة الإسلام بكل هدوء من غير أن يعرفه من هو على طريق صحيح ، مما يجب على كل من يتحرك بالدعوة إلى الله أن يمنع الأجيال الآتية من الوقوع فيها حتى لا تصل آرائه إلى العوام.

الفصل الرابع: أعلام الصوفيين.

❖ ابن عربي الأندلسي.

هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي ، المعروف بابن عربي , صاحب كتاب الفصوص ، والفتوحات المكية ، توفى سنة (٦٣٨ هـ) , عداده في غلاة الصوفية من أهل وحدة الوجود ، الذين تقوم بدعتهم على القول بالوحدة الذاتية لجميع الأشياء مع تعدد صورها في الظاهر ، فكل شيء هو الله ، واختلاف الموجودات هو اختلاف في الصور والصفات ، مع توحد في الذات , وقد اعتبر ابن عربي نفسه خاتم الأولياء.

ولد بالأندلس , ورحل منها إلى مصر ، وحج وزار بغداد ، واستقر في دمشق حيث مات ودفن ، وله فيها الآن مسجد وقبر يُزار.

قال الذهبي رحمه الله: ((ومِن أردئ تواليفه كتاب "الفصوص"! فإن كان لا كفر فيه فما في

الدنيا كفر ، نسأل الله العفو والنجاة. فوا غوثاه بالله))[١].

قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان: ((سألت شيخنا الإمام سراج الدين البُلقيني عن ابن عربي ، فبادر الجواب: بأنه كافر. فسألته عن ابن الفارض فقال: لا أحب أن أتكلم فيه. قلت: فما الفرق بينهما والموضع واحد.؟ وأنشدته من التائية فقطع علي بعد إنشاء عدة أبيات بقوله: هذا كفر هذا كفر))[٢].

وقال الحافظ أيضاً: ((ولا أرى يتعصب للحلاج إلا من قال بقوله الذي ذُكر أنه عين الجمع فهذا هو قول أهل الوحدة المطلقة ولهذا ترى ابن عربي صاحب الفصوص يعظمه ويقع في الجنيد ، والله الموفق))[٣].

مباهلة الحافظ ابن حجر أتباع ابن عربي في حال شيخهم وضلاله.

قال الحافظ السخاوي "رحمه الله" في الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني: ((ومع وفور علمه . يعني شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني . وعدم سرعة غضبه، فكان سريع الغضب في الله ورسوله ... إلى أن قال: واتفق كما سمعته منه مراراً أنه جرى بينه وبين بعض المحبين لابن عربي منازعة كثيرة في أمر ابن عربي، أدت إلى أن نال شيخنا من ابن عربي لسوء مقالته. فلم

---

[١] سير أعلام النبلاء: ٢٣ـ ٤٨
[٢] لسان الميزان: ٤ـ٣٦٤
[٣] لسان الميزان: ٢ـ٣١٥

يسهل بالرجل المنازع له في أمره، وهدَّده بأن يغري به الشيخ صفاء الذي كان الظاهر برقوق يعتقده، ليذكر للسلطان أن جماعة بمصر منهم فلان يذكرون الصالحين بالسوء ونحو ذلك. فقال له شيخنا: ما للسلطان في هذا مدخل، لكن تعالَ نتباهل؛ فقلما تباهل اثنان، فكان أحدهما كاذباً إلا وأصيب. فأجاب لذلك، وعلَّمه شيخنا أن يقول: اللهم إن كان ابن عربي على ضلال، فالعَنِّي بلعنتك، فقال ذلك.

وقال شيخنا: اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعنِّي بلعنتك. وافترقا.

قال: وكان المعاند يسكن الروضة، فاستضافه شخص من أبناء الجند جميل الصورة، ثم بدا له أن يتركهم، وخرج في أول الليل مصمماً على عدم المبيت، فخرجوا يشيعونه إلى الشختور، فلما رجع أحسَّ بشيءٍ مرَّ على رجله، فقال لأصحابه: مرَّ على رجلي شيء ناعم فانظروا، فنظروا فلم يروا شيئاً. وما رجع إلى منزله إلا وقد عمي ، وما أصبح إلا ميتاً.

وكان ذلك في ذي القعدة سنة سبع وتسعين وسبع مئة، وكانت المباهلة في رمضان منها.

وكان شيخنا عند وقوع المباهلة عرَّف من حضر أن من كان مبطلاً في المباهلة لا تمضي عليه سنة[١].

وكذلك نقل قصة المباهلة تلميذ الحافظ ابن حجر، تقي الدين الفاسي.

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (٢. ١٩٨).

وقال العز بن عبد السلام "رحمه الله" في ابن عربي: ((شيخُ سوءٍ مقبوحٍ ، يقول بِقِدَمِ العالَمِ ، ولا يُحَرِّم فرجاً)).[أ]

وألف الشيخ برهان الدين البقاعي المتوفى سنة (٨٨٥ هـ) كتاباً سمّاه: تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي ، ذكر فيه أسماء جماعة من الذين صرحوا بكفره ، أو ذمه ذماً شنيعاً ، منهم:

شمس الدين محمد بن يوسف الجزري (صفحة: ١٤١)

وحفيده إمام القرّاء محمد بن محمد الجزري صاحب الجزرية (صفحة: ١٧٦)

وعلي بن يعقوب البكري (صفحة: ١٤٤)

ومحمد بن عقيل البالسي (صفحة: ١٤٦)

[١] الجواهر والدرر ٣/١٠٠١-١٠٠٢

وابن هشام , صاحب مغني اللبيب (صفحة: ١٥٠)

وشمس الدين محمد العيزري (صفحة: ١٥٢)

وعلاء الدين البخاري الحنفي (صفحة: ١٦٤)

وعلي بن أيوب (صفحة: ١٨٢)

وشمس الدين الموصلي (صفحة: ١٥٤)

وزين الدين عمر الكتاني (صفحة: ١٤٢)

وبرهان الدين السفاقيني (صفحة: ١٥٩)

وسعد الدين الحارثي الحنبلي (صفحة: ١٥٣)

ورضي الدين بن الخياط (صفحة: ١٦٣)

وشهاب الدين أحمد ابن علي الناشري (صفحة: ١٦٣).

ومنهم: محمد بن علي النقاش قال: ((وهو مذهب الملحدين كابن عربي وابن سبعين وابن الفارض))[١].

ومنهم شرف الدين عيسى الزواوي المالكي المتوفى عام ٧٤٣هـ قال: ((ويجب على ولي الأمر إذا سمع بمثل هذا التصنيف (أي مؤلفات ابن عربي كالفصوص الحكم والفتوحات المكية) البحث عنه وجمع نسخه حيث وجدها وإحراقها، وتأديب من اهتم بهذا المذهب))[٢].

ومنهم تقي الدين الفاسي الذي ألف كتاباً سماه: عقيدة ابن عربي وحياته.

ومنهم علاء الدولة أحمد بن محمد السمناني المفسر الصوفي[٣].

ومنهم: أبو حيان الأندلسي صاحب التفسير, فقد في تفسير سورة المائدة عند قوله تعالى: ?لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم? (صفحة: ١٤٢-١٤٣): ((ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط من أقر بالإسلام ظاهراً , وانتمى إلى الصوفية حلولَ الله في الصور الجميلة , وذهب من ذهب من ملاحدتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة كالحلاج , والشعوذي , وابن أحلى , وابن عربي المقيم بدمشق , وابن الفارض ,

---

[١] وحدة الوجود (صفحة: ١٤٧)
[٢] العقد الثمين ١٧٦/٢-١٧٧.)
[٣] الدرر الكامنة: (١-٢٥٠).

وأتباع هؤلاء كابن سبعين)). وعد جماعة ثم قال: ((وإنما سردت هؤلاء نصحاً لدين الله وشفقة على ضعفاء المسلمين .وليحذروا , فإنهم شر من الفلاسفة الذي يكذبون الله ورسله, ويقولون بقدم العالم, وينكرون البعث , وقد أولع جهلة ممن ينتمي إلى التصوف بتعظيم هؤلاء, وادعائهم أنهم صفوة الله!!)).

ومنهم: تقي الدين السبكي: ((ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربي وغيره فهم ضلال جهال خارجون عن طريقة الإسلام فضلا عن العلماء وقال ابن المقري اليمني الشافعي في روضه إن الشك في كفر طائفة ابن عربي كفر))[١].

ومنهم القاضي بدر الدين بن جماعة قال: ((حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم، يأذن في المنام بما يخالف ويعاند الإسلام –يشير إلى زعم ابن عربي أنه تلقى كتاب الفصوص من الرسول مكتوباً-، بل ذلك من وسواس الشيطان ومحنته وتلاعبه برأيه وفتنته.. وقوله في آدم: إنه إنسان العين، تشبيه لله تعالى بخلقه، وكذلك قوله: الحق المنزه، هو الخلق المشبّه إن أراد بالحق رب العالمين، فقد صرّح بالتشبيه وتغالى فيه.. وأما إنكاره ما ورد في الكتاب والسنة من الوعيد: فهو كافر به عند علماء أهل التوحيد.. وكذلك قوله في قوم نوح وهود: قول لغوٍ باطل مردود وإعدام ذلك، وما شابه هذه الأبواب من نسخ هذا الكتاب، من أوضح طرق الصواب، فإنها ألفاظ مزوّقة، وعبارات عن معان غير محققة، وإحداث في الدين ما ليس منه، فحُكمه: رده، والإعراض عنه))[٢].

وقال نور الدين البكري الشافعي: ((وأما تصنيف تذكر فيه هذه الأقوال ويكون المراد بها ظاهرها فصاحبها ألعن وأقبح من أن يتأول له ذلك بل هو كاذب، فاجر كافر في القول والاعتقاد ظاهراً وباطناً وإن كان قائلها لم يرد ظاهرها فهو كافر بقوله ضال بجهله، ولا يعذر بتأويله لتلك الألفاظ إلا أن يكون جاهلاً للأحكام جهلاً تاماً عاماً ولا يعذر بجهله لمعصيته لعدم مراجعة العلماء والتصانيف على الوجه الواجب من المعرفة في حق من يخوض في أمر الرسل، ومتبعيهم أعني معرفة الأدب في التعبيرات على أن في هذه الألفاظ ما يتعذر أو يتعسر تأويله، بل كلها كذلك، وبتقدير التأويل على وجه يصح في المراد فهو كافر بإطلاق اللفظ على الوجه الذي شرحناه))[٣].

قال ابن خلدون: ((ومن هؤلاء المتصوفة: ابن عربي، وابن سبعين، وابن برّجان، وأتباعهم، ممن سلك سبيلهم ودان بنحلتهم، ولهم تواليف كثيرة يتداولونها، مشحونة من صريح الكفر، ومستهجن البدع،

---

[١] مغني المحتاج للشربيني (٣-٦١)
[٢] عقيدة ابن عربي وحياته لتقي الدين الفاسي. (صفحة: ٢٩، ٣٠).
[٣] مصرع التصوف صفحة: /١٤٤

وتأويل الظواهر لذلك على أبعد الوجوه وأقبحها، مما يستغرب الناظر فيها من نسبتها إلى الملّة أو عدّها في الشريعة، وليس ثناء أحد على هؤلاء حجة ولو بلغ المثني عسى ما يبلغ من الفضل لأن الكتاب والسنة أبلغ فضلاً أو شهادة من كل أحد، وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة وما يوجد من نسخها في أيدي الناس مثل الفصوص والفتوحات المكية لابن عربي.. فالحكم في هذه الكتب وأمثالها إذهاب أعيانها إذا جدت بالتحريق بالنار والغسل بالماء حتى ينمحي أثر الكتاب[١]))

وقال ابن خلدون أيضاً: ((هذا العِلم - السِّحْر - حَدث في المِلَّة بعد صدر منها ، وَعنْد ظُهور الغُلاَة من المتصوفة ، الحلاَّج ، ابن عربي ، العَفيف التِّلِمْساني ، ابْن سَبعين ، ابن الفارض

وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس ، وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر ، وتدوين الكتب والاصطلاحات ومزاعمهم في تنزل الوجود عن الواحد وترتيبه. وزعموا أن الكمال الأسمائي مظاهر أرواح والأفلاك والكواكب وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء فهي سارية في الأكوان[٢] .

وقال نجم الدين البالسي الشافعي: ((من صدق هذه المقالة الباطلة أو رضيها كان كافراً بالله تعالى يراق دمه ولا تنفعه التوبة عند مالك وبعض أصحاب الشافعي، ومن سمع هذه المقالة القبيحة تعين عليه إنكارها))[٣].

وقال الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف الجزري الشافعي: ((الحمد لله، قوله: فإن آدم عليه السلام، إنما سمّي إنساناً: تشبيه وكذب باطل، وحكمه بصحة عبادة قوم نوح للأصنام كفر، لا يقر قائله عليه، وقوله: إن الحق المنزّه: هو الخلق المشبّه، كلام باطل متناقض وهو كفر، وقوله في قوم هود: إنهم حصلوا في عين القرب، افتراء على الله وردّ لقوله فيهم، وقوله: زال البعد، وصيرورية جهنم في حقهم نعيماً: كذب وتكذيب للشرائع، بل الحقّ ما أخبر الله به من بقائهم في العذاب.. وأمّا من يصدقه فيما قاله، لعلمه بما قال: فحكمه كحكمه من التضليل والتكفير إن كان عالماً، فإن كان ممن لا علم له: فإن قال ذلك جهلاً: عُرِّف بحقيقة ذلك، ويجب تعليمه وردعه مهما أمكن.. وإنكاره الوعيد في حق سائر العبيد: كذب وردّ لإجماع المسلمين، وإنجاز من الله عز وجل للعقوبة، فقد دلّت الشريعة دلالة ناطقة، أن لا بدّ من عذاب طائفة من عصاة المؤمنين، ومنكر ذلك يكفر، عصمنا الله من سوء الاعتقاد، وإنكار المعاد))[٤].

---

[١] مصرع التصوف صفحة: ١٥٠(
[٢] مقدمة ابن خلدون (صفحة:٩٣٠)
[٣] مصرع التصوف صفحة: ١٤٦
[٤] عقيدة ابن عربي وحياته لتقي الدين الفاسي صفحة: ٣١،٣٢

وقال الحافظ العراقي: ((وأما قوله فهو عين ما ظهر وعين ما بطن، فهو كلام مسموم ظاهره القول بالوحدة المطلقة، وقائل ذلك والمعتقد له كافر بإجماع العلماء))[١].

وقال أبو زرعة ابن الحافظ العراقي: ((لا شك في اشتمال" الفصوص" المشهورة على الكفر الصريح الذي لا شك فيه، وكذلك فتوحاته المكية، فإن صحّ صدور ذلك عنه، واستمر عليه إلى وفاته: فهو كافر مخلد في النار بلا شك))[٢].

ومنهم ابن طولون حيث قال وهو يذكر من طعن في ابن عربي: ((وسمعت الشيخ الكفر السوسي يقول: رقاهم بعض المتأخرين إلي نحو خمسمائة منهم: قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز المصري ، والعلامة شهاب الدين أحمد بن حمدان الحراني ، وعلامة زمانه تقي الدين ابن تيميه ، والعلامة كمال الدين جعفر الأدفوي ، والحافظ ابن كثير ، ونادرة زمنه علماً وعملاً علاء الدين البخاري ، وقاضي القضاه أبو زرعة العراقي ، وقاضي القضاه بدر الدين العيني ، وشيخ الإسلام شمس الدين البلاطنسي ، والعلامة محمد بن إمام الكاملية الصوفي ، وحافظ العصر شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، والفقيه تقي الدين ابن الصلاح ، وقاضي القضاه ابن دقيق العيد ، وبدر الدين ابن جماعة ، وشيخ الإسلام تقي الدين لسبكي.

.ومنهم الإمام الشوكاني "رحمه الله" قال في أبيات:

فهمُ الذين تلاعبوا بين الورى ** بالدينِ وانتدبوا لقصد خرابه**

وقد نهج الحلاجُ طرقَ ضلالهم ** وكذاك محيي الدين لا حيا به**

وكذاك فارضهم بتائياتهِ ****** فرض الضلال عليهم ودعا به**

وكذا ابن سبعين المهين فقد عدا ***** متطوراً في جهلهِ ولعابهِ**

رام النبوءة لالعاً لعثورهِ ******** روم الذبابِ مصيره كعقابهِ**

وكذلك الجيلي أجال جوادهُ **** في ذلك الميدانِ ثم سعى به**

إنسانهُ إنسان عين الكفر لا ******** يرتاب فيه سابح بعبابه**

---

[١] مصرع التصوف صفحة: ٦٤

[٢] عقيدة ابن عربي وحياته لتقي الدين الفاسي صفحة: ٦٠

والتلمساني قال قد حلت له ***كلُّ الفروجِ فخذ بذا وكفى به

نهقوا بوحدتهم على رؤوس الملَ**** ومن المقال أتوا بعينِ كذابه

إن صح ما نقل الأئمةُ عنهم ***** فالكفر ضربة لازب لصحابه

لا كفر في الدنيا على كلِّ الورى** إن كان هذا القول دون نصابهِ

قد ألزمونا أن ندين بكفرهم ****والكفر شرُّ الخلقِ من يرضى به

فدعِ التعسفَ في التأولِ لا تكن ****** كفتى يغطي جيفةً بثيابهِ

قد صرحوا أن الذي يبغونهُ ****** هو ظاهرُ الأمر الذي قلنا بهِ

هذي فتوحاتُ الشؤومِ شواهدٌ ***** إن المراد له نصوص كتابهِ

❖ أحمد التجاني.

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد التجاني، ولد عام (١١٥٠ هـ) بقرية عين ماضي التي وفد إليها جده محمد، فاستوطن بها وتزوج من قبيلة فيها تدعى تجاني أو تجانا فكانت أخوالاً لأولاده وإليها نسبوا.

نشأ أبو العباس بهذه القرية ورحل في إلى بلاد عدة، وتأثر في أسفاره بمن التقى بهم من مشايخ الطرق الصوفية وأخذ الطريق عن عدة منهم ثم انتهت به رحلاته إلى أبي صيفون، وهناك زعم أنه قد جاءه الفتح، وأنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً وأنه أذن له في تربية الخلق على العموم والإطلاق وأخذ عنه الطريقة الصوفية مشافهة.

اضغط هنا لتشاهد بالصوت والصورة كيف يقول التيجانيون بأن التجاني التقى بالنبي صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه الطريقة يقظة.

وزعم التجاني أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمره أن يترك كل طريق أخذه عن مشايخ الطرق الصوفية اكتفاء بما أخذه عنه صلى الله عليه وسلم مشافهة وعين له النبي صلى الله عليه وسلم الورد الذي يلقنه مريديه، وهو: الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك سنة (١١٩٦) من الهجرة، وكمل له الورد بسورة الإخلاص على رأس المائة؛ ولذا سميت الطريقة الأحمدية والمحمدية، كما سميت التيجانية نسبة إلى القبيلة التي صاهرها جده محمد فنسبوا إليها.

وقد أسس التجاني طريقته بعد أن استقر في مدينة فاس بالمغرب وبنى فيها زاوية لمريديه.

وزعم أحمد التجاني بعد شهرته أنه شريف ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب،وزعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وسأله عن نسبه، فأجابه بقوله: ((أنت ولدي حقاً، وكررها (ثلاث مرات) ثم قال: نسبك إلى الحسن صحيح))

لم يترك التجاني أي علم يُنتفع به ولكن جمع له تلميذ من تلاميذه يسمى علي حرازم كتاباً سماه (جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني).. والكتاب كله في فضل سيده وكراماته وأحواله وطريقته، وإشاراته القرآنية وعلومه اللدنية..

وقد ادعى التجاني فضائل كثيرة وزاد على ما ادعاه كثير من شيوخ الطرق.

فقد ادعى أنه هو خاتم الأولياء جميعاً والغوث الأكبر في حياته وبعد مماته، وأن أرواح الأولياء منذ آدم إلى آخر ولي لا يأتيها الفتح والعلم الرباني إلا بوساطته هو، وأن قدمه على رقبة كل ولي لله تعالى من خلق آدم إلى النفخ في الصور.

وأنه أول من يدخل الجنة هو وأصحابه وأتباعه.

وأن الله شفعه في جميع الناس الذين يعيشون في قرنه الذي عاش فيه.

ومما قاله التجاني في ذلك: ((وليس لأحدٍ من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا ، وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلاّ أنا وحدي))[١]

وأن الرسول أعطاه ذكراً يسمى صلاة الفاتح يفضل أي ذكر قرئ في الأرض ستين ألف مرة بما في ذلك القرآن الكريم. توفي التجاني سنة (١٢٣٠هـ).

أقوال العلماء فيه:

- ذكرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في السؤال السابع من الفتوى رقم (٥٥٥٣) ما نصه: ((الفرقة التيجانية من أشد الفرق كفراً وضلالاً وابتداعاً في الدين لما لم يشرع الله. وسبق أن سئلت اللجنة الدائمة عنهم وكتبت بحثاً في كثير من بدعهم وضلالاتهم الدالة على ذلك))

من أقواله والنقولات عنه التي تبين عقيدته:

من أفضل ما يبين لنا عقيدة التجاني ما نقله علي حرازم في كتابه (جواهر المعاني وغاية الأماني) وما ذكره عمر بن سعيد الفوتي في كتابه (رِماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم) وهما من أوسع كتب التيجانية وأوثقها في نظر أهل هذه الطريقة.

وللاختصار فلن ننقل إلا قليلا من هذه الأقوال:

ادعى التجاني لنفسه ختم الولاية , مكذبا بذلك كثيرا ممن سبقوه من أهل الطرق الذين نسبوا ذلك لأنفسهم .

قال صاحب كتاب رماح حزب الرحيم على نحور حزب الشيطان الرجيم: ((وشيخنا التجاني ولد عام خمسين ومائة وألف ووقع له الإذن من النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً بتربية الخلق على

[١] (الطبقات الكبرى: ٩٠/٢).

العموم والإطلاق سنة ألف ومائة وست وتسعين، قال أخبرني سيدي محمد الغالي أن الشيخ عاش وهو في مرتبة الختمية ثلاثين سنة وإذا تأملت هذا علمت أن الختمية لم تثبت لأحد قبل شيخنا وأن أحداً ما ادعاها وثبت على ادعائها لنفسه وأما شيخنا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا سيد أحمد بن محمد الشريف الحسني التيجاني قال: أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأني أنا القطب المكتوم منه إلي مشافهة يقظة لا مناماً فقيل له ما معنى المكتوم؟ فقال هو الذي كتمه الله تعالى عن جميع خلقه حتى الملائكة والنبيين إلا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فإنه علم به وبحاله وهو الذي حاز كل ما عند الأولياء من الكمالات الإلهية واحتوى على جميعها وأكبر من هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن لله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها أدخله الله الجنة وما اجتمعت في نبي ولا ولي إلا في سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وأما الأقطاب الذين بعده حتى الحجة العظمى ابن عربي الحاتمي فإنما يعلمون ظواهرها فقط ويسمون المحمديين وبه ختم الله الأقطاب المجتمعة فيهم الأخلاق والإلهية وهذه الأخلاق لا يعرفها إلا من ذاقها ولا تدرك بالوصف ولا يعرف ما فيها إلا بالذوق وقال إن الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم تتلقاها ذات الأنبياء وكل ما فاض وبرز من ذات الأنبياء تتلقاه ذاتي ومني يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور، وخصصت بعلوم بيني وبينه منه إلى مشافهة لا يعلمها إلا الله عزوجل بلا واسطة قال أنا سيد الأولياء كما كان صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء)).

ويتابع صاحب الرماح أيضاً قائلا: ((ومدده الخاص به (يعني الشيخ التجاني) إنما يتلقاه منه صلى الله عليه وسلم ولا اطلاع لأحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على فيضه الخاص به لأن له مشرباً معهم منه صلى الله عليه وسلم قال رضي الله عنه وأرضاه وعنا به مشيراً بإصبعه السبابة والوسطى: روحي وروحه صلى الله عليه وسلم هكذا، روحه صلى الله عليه وسلم تمد الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء من الأزل إلى الأبد.

وسبب ذلك أن بعض أصحابه تحاور مع بعض الناس في قوله رضي الله عنه وأرضاه وعنا به كل شيوخ أخذوا عني في الغيب فحكي له ذلك فأجاب رضي الله عنه وأرضاه وعنا به ما ذكر.

وقال (أي التجاني): نسبة الأقطاب معي كنسبة العامة مع الأقطاب وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني قال قدمي هذا (كذا) على رقبة كل ولي لله تعالى يعني أهل عصره وأما أنا فقدماي هاتان جميعها (وكان متكئاً فجلس وقال) على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن آدم إلى النفخ في الصور)).

- وقد قسم التجاني مراتب الأولياء والأنبياء إلى سبع مراتب سماها حضرات قال فيها: الحضرة الأولى: الحقيقة المحمدية. قال: وهذه الحضرة غيب من غيوب الله تعالى لم يطلع عليها أحد ولا عرف شيئاً من علومها وأسرارها وتجلياتها وأخلاقها ولو كان من الرسل والأنبياء لأنها خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم.

والثانية الحضرة المحمدية وتمثلها الدائرة الثانية ومن هذه الحقيقة المحمدية مدارك النبيين والمرسلين وجميع الملائكة والمقربين وجميع الأقطاب والصديقين وجميع الأولياء والعارفين. والثالثة حضرة الأنبياء وتمثلها الدائرة الثالثة وأهل هذه الحضرة يتلقون علومهم وأحوالهم وتجلياتهم من هذه الحقيقة المحمدية وخاتم الأولياء أعني الشيخ التجاني له مشرب من هذه الحضرة مع الأنبياء فهو يتلقى المدد رأساً من النبي صلى الله عليه وسلم من حقيقته المحمدية بلا وساطة. الرابعة حضرة خاتم الأولياء وتمثلها الدائرة الرابعة وصاحب هذه الحضرة هو الشيخ أحمد التجاني فهو يتلقى كل ما فاض من ذوات الأنبياء زيادة على ما يتلقاه بلا وساطة من الحقيقة المحمدية ولذلك سمى نفسه (برزخ البرازخ).

وقال التجاني: وخُصِصْتُ بعلوم بيني وبينه منه إلي مشافهة لا يعلمها إلا الله عز وجل بلا وساطة وقال: أنا سيد الأولياء كما كان النبي صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء. ثم قال صاحب الرماح ((ولا اطلاع لأحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على فيضه الخاص لأن له مشرباً معهم منه صلى الله عليه وسلم))!!.

الحضرة الخامسة حضرة المتبعين للطريقة التجانية المتمسكين بها. قال الشيخ التجاني في حق أهل هذه الحضرة ما نصه ((لو اطلع أكابر الأقطاب على ما أعد الله لأهل هذه الطريقة لبكوا وقالوا يا ربنا ما أعطيتنا شيئاً)). وقال الشيخ التجاني لا مطمع لأحد من الأولياء في مراتب أصحابنا حتى الأقطاب الكبار ما عدا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال التجاني: كل الطرائق تدخل عليه (كذا) طريقتنا فتبطلها وطابعنا يركب على كل طابع ولا يحمل طابعنا غيره وقال من ترك ورداً من أوراد المشايخ لأجل الدخول في طريقتنا هذه المحمدية التي شرفها الله تعالى على جميع الطرق أمنه الله في الدنيا والآخرة فلا يخاف من شيء يصيبه لا من الله ولا من رسوله ولا من شيخه أيا كان من الأحياء أو من الأموات.

وأما من دخل زمرتنا وتأخر عنها ودخل غيرها تحل به مصائب الدنيا وأخرى ولا يفلح أبداً (هامش: قلت فانظر كيف يهدم كل صاحب طريق صوفي طريق غيره من الكاذبين الضالين من أمثاله. واعتبر!!). ثم قال ناقلاً عن شيخه التجاني كما هو في جواهر المعاني: وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بلا حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا إلا أنا وحدي. ووراء ذلك مما ذكر لي فيهم

وضمنه أمر لا يحل لي ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا في الدار الآخرة بشرى للمعتقد علي رغم أنف المنتقد. ثم استطرد صاحب الرماح ومن هنا صار جميع أهل طريقته أعلى مرتبة عند الله تعالى في الآخرة من أكابر الأقطاب وإن كان بعضهم في الظاهر من جملة العوام المحجوبين.

الحضرة السادسة حضرة الأولياء وتمثلها الدائرة السادسة وهي مستمدة من حضرة خاتمهم الأكبر جميع ما نالوا (الهدية الهادية ص٣٦).

زعم التجاني كذلك فضلا لأذكاره يفوق فضل تلاوة القرآن الكريم كاملا!! حيث زعم أن (ذكره) الذي يسميه صلاة الفاتح: القراءة الواحدة له تعدل قراءة القرآن ستة آلاف مرة!!

قال مؤلف جواهر المعاني على حرازم في الجزء الأول صفحة (٩٤) ((وأما فضل صلاة الفاتح لما أغلق الخ، فقد سمعت شيخنا يقول: كنت مشتغلاً بذكر صلاة الفاتح لما أغلق حين رجعت من الحج إلى تلمسان لما رأيت من فضلها وهو أن المرة الواحدة بستمائة ألف صلاة كما هو في وردة الجيوب وقد ذكر صاحب الوردة أن صاحبها سيدي محمد البكري الصديقي نزيل مصر وكان قطباً، قال إن من ذكرها ولم يدخل الجنة فليقبض صاحبها عند الله، وبقيت أذكرها إلى أن رحلت من تلمسان إلى أبي سمعون فلما رأيت الصلاة التي فيها المرة بسبعين ألف ختمة من دلائل الخيرات تركت الفاتح لما أغلق واشتغلت بها وهي (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك وسلم على سيدنا محمد وعلى آله سلاماً يعدل سلامهم) لما رأيت فيها من كثر الفضل ثم أمرني بالرجوع صلى الله عليه وسلم إلى صلاة الفاتح لما أغلق فلما أمرني بالرجوع إليها سألته صلى الله عليه وسلم عن فضلها فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيحة وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار)) انتهى بلفظه (جواهر المعاني ص٩٤).

ملخص الأخطاء العقدية التي وقع فيها التجاني ومن تبعه في طريقته:

١. غلو أحمد بن محمد التجاني مؤسس الطريقة وغلو أتباعه فيه غلواً جاوز الحد حتى أضفى على نفسه خصائص الرسالة بل صفات الربوبية والإلهية وتبعه في ذلك مريدوه.
٢. إيمانه بالفناء ووحدة الوجود وزعمه ذلك لنفسه بل زعم أنه في الذروة العليا من ذلك وصدقه فيه مريدوه فآمنوا به واعتقدوه.

٣. زعمه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة، وتلقين النبي صلى الله عليه وسلم إياه الطريقة التيجانية وتلقيه وردها والإذن له يقظة في تربية الخلق وتلقينهم هذا الورد واعتقاد مريديه وأتباعه ذلك.

٤. تصريحه بأن المدد يفيض من الله على النبي صلى الله عليه وسلم أولاً، ثم يفيض منه على الأنبياء، ثم يفيض من الأنبياء عليه، ثم منه يتفرق على جميع الخلق من آدم إلى النفخ في الصور، ويزعم أن يفيض أحياناً من النبي صلى الله عليه وسلم عليه مباشرة ثم يفيض منه على سائر الخليقة ويؤمن مريدون بذلك ويعتقدونه.

٥. تهجمه على الله وعلى كل ولي لله وسوء أدبه معهم إذ يقول: قدماي على رقبة كل ولي، فلما قيل له: إن عبد القادر الجيلاني: قال: فيما زعموا قدمي على رقبة كل ولي، قال: صدق ولكن في عصره أما أنا فقدماي على رقبة كل ولي من آدم إلى النفخ في الصور، فلما قيل له: أليس الله قادراً على أن يوجد بعدك ولياً فوق ذلك؟، قال: بلى، ولكن لا يفعل، كما أنه قادر على أن يوجد نبياً بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكنه لا يفعل، ومريدوه يؤمنون بذلك ويدافعون عنه.

٦. دعواه كذباً أنه يعلم الغيب وما تخفي الصدور وأنه يصرف القلوب وتصديق مريديه ذلك وعده من محامده وكراماته.

٧. إلحاده في آيات الله وتحريفها عن مواضعها بما يزعمه تفسيراً إشارياً كما سبق في الإعداد من تفسيره قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ﴾[١] ويعتقد مريدوه أن ذلك من الفيض الإلهي.

٨. تفضيله الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على تلاوة القرآن بالنسبة لمن يزعم أنهم أهل المرتبة الرابعة وهي المرتبة الدنيا في نظره.

٩. زعمه هو وأتباعه أن منادياً ينادي يوم القيامة والناس في الموقف بأعلى صوته يا أهل الموقف هذا إمامكم الذي كان منه ممدكم في الدنيا .. الخ.

١٠. زعمه أن كل من كان تجانياً يدخل الجنة دون حساب ولا عذاب مهما فعل من الذنوب.

١١. زعمه أن من كان على طريقته وتركها إلى غيرها من الطرق الصوفية تسوء حاله ويخشى عليه سوء العاقبة والموت على الكفر.

---

[١]. سورة الرحمن:١٩-٢٠

١٢. زعمه أنه يجب على المريد أن يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي المغسل لا اختيار له بل يستسلم لشيخه فلا يقول: لم ولا كيف ولا علام ولا لأي شيء .. الخ.

١٣. زعمه أنه أوتي اسم الله الأعظم، علمه إياه النبي صلى الله عليه وسلم ثم هول أمره وقدر ثوابه بالآلاف المؤلفة من الحسنات، خرصاً وتخميناً ورجماً بالغيب واقتحاماً لأمر لا يعلم إلا بالتوقيف.

١٤. زعمه أن الأنبياء والمرسلين والأولياء لا يمكثون في قبورهم بعد الموت إلا زمناً محدوداً يتفاوت بتفاوت مراتبهم ودرجاتهم ثم يخرجون من قبورهم بأجسادهم كما كانوا من قبل إلا أن الناس لا يرونهم كما أنهم لا يرون الملائكة مع أنهم أحياء.

١٥. زعمه أن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر بجسده مجالس أذكارهم وأورادهم وكذا الخلفاء الراشدون .. الخ.

المراجع:

- الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق
- التيجانية حقائق وأسرار. اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

❖ **ابن حجر الهيتمي.**

إن أصدق الكلام وأعدله للتعريف بصاحب الترجمة ، هو كلامه المنقول من كتبه ، وإليكم هنا أسطر قلائل ، ولكنها كبائر شواهق تُعرّف بصاحب الترجمة ، حيث يقول ابن حجر الهيتمي في كتابه الفتاوى الحديثية صفحة: (٢١٥).

((الذي أثرناه عن أكابر مشايخنا العلماء الحكماء الذين يستسقى بهم الغيث ، وعليهم المعول وإليهم المرجع في تحرير الأحكام وبيان الأحوال والمعارف والمقامات والإشارات ، أن الشيخ محي الدين بن عربي من أولياء الله تعالى العارفين ومن العلماء العاملين ، وقد اتفقوا على أنه كان أعلم أهل زمانه ، بحيث أنه كان في كل فن متبوعاً لا تابعاً ، وأنه في التحقيق والكشف والكلام على الفرق والجمع بحر لا يجارى ، وإمام لا يغالط ولا يمارى ، وأنه أورع أهل زمانه وألزمهم للسنة وأعظمهم مجاهدة حتى أنَّه مكث ثلاثة أشهر على وضوء واحد ، وقس على ذلك ما هو من سوابقه ولواحقه ، ووقع له ما هو أعظم من ذلك ، ومنه أنه لما صنفكتابه الفتوحات المكية وضعه على ظهر الكعبة ورقاً من غير وقايةٍ عليه فمكث على ظهرها سنةً لم يمسه مطرٌ ولا أخذ منه الريح ورقةً واحدة مع كثرة الرياح والأمطار بمكة ، فحفظ الله كتابه هذا من هذين الضدين دليل أي دليل ، وعلامة أي علامة على أنه تعالى قَبِل منه ذلك الكتاب وأثابه عليه ، وحمد تصنيفه له)).

بقي أن تعرف أخي القارئ أن هناك تشابه بالأسماء بين الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني ، وبين صاحب الترجمة ، وهناك تباين بينهما فصاحب الترجمة يقدس محي الدين بن عربي ، والعسقلاني يكفره.

❖ **ابن عطاء الله السكندري.**

أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن عطاء الله السكندري الشاذلي المالكي المتوفى بالقاهرة سنة (٧٠٩ هـ).

يعتبر ابن عطاء الله السكندري من أشهر الوعاظ عند الصوفية ، والحقيقة أن في عباراته ومواعظه الشيء المفيد الذي لا ينكره إلا متعصب ، ولكن الذي سأنقله من كتبه يظهر مدى المخالفات الشرعية العقائدية التي وقع فيها كغيره من الصوفية، مما يفيدنا البعد عن هذه الكتب والتحذير منها ، ومن مؤلفها ، وما سبب هذا إلا الغلو والبعد عن العلم.

يقول ابن عطاء الله السكندري: ((لو كشف عن حقيقة الولي لعبد ، لأن أوصافه من أوصافه، ونعوته من نعوته)).[١]

ويقول أيضاً في كتابه تاج العروس (صفحة: ٣٦) طبعة دار ابن القيم دمشق الطبعة الأولى سنة: (١٩٩٩ م) ما نصه: ((كل من كان مراعياً لحق الله تعالى ، لا يُحدِثُ اللهُ حدثاً في المملكة إلا أعلمه. نظر بعضهم إلى جماعة فقال لهم: هل فيكم من إذا أحدث الله سبحانه وتعالى في المملكة حدثاً أعلمه.؟ قالوا: لا. فقال لهم: ابكوا على أنفسكم))

وقال ابن عطاء في الصفحة (٧٥) ما نصه: ((عن الشيخ مكين الدين الأسمر رضي الله عنه أنه قال: كنتُ بالإسكندرية فرأيت شمساً قد طلعت مع الشمس فتعجبت من ذلك ، فدنوت منه فإذا هو شاب قد خط عِذارُه . أي بداية نبت شعر لحيته . قد غلب نوره على نور الشمس ، فسلمت عليه فرد علي السلام ، فقلت له: من أين.؟ فقال: صليت الصبح في المسجد الأقصى ببيت المقدس ، وأصلي الظهر عندكم ، والعصر بمكة ، والمغرب بالمدينة.!! فقلت له: تكون ضيفي ، قال: لا سبيل إلى ذلك ، ثم ودعني وانصرف)).

[١] لطائف المنن ، صفحة: ٩٥

قلت: قال في الفتاوى الهندية . من أهم مراجع المذهب الحنفي . قسم الفتاوى البزازية ، الطبعة الثالثة ، تركية الجزء الرابع ، صفحة (٣٤٨): ((وسئل الزعفراني عمن يزعم أنه رأى ابن أدهم يوم التروية بالكوفة ، ورآه أيضاً في ذلك اليوم بمكة ، قال: كان ابن مقاتل يكفره ، ويقول: ذلك من المعجزات لا من الكرامات ... ، وقال محمد بن يوسف: يكفر ... ، وقد ذكر علماؤنا: أن ما هو من المعجزات الكبار كإحياء الموتى ، وقلب العصا حية ، وانشقاق القمر ، وإشباع الجمع من الطعام القليل ، وخروج الماء من بين الأصابع ، لا يمكن إجراؤه بطريق الكرامة للولي ، وطيُّ المسافات من قبيل المعجزات ، لقوله عليه الصلاة والسلام: ((زويت لي الأرض)) فلو جاز لغيره أيضاً لم يبق فائدة التخصيص ، أو لأنه كالإسراء بالجسم وذلك خاصيته عليه الصلاة والسلام)). ا.هـ

وقال ابن عطاء في الصفحة (٤٧) ما نصه: ((كان لبعضهم زوجة ، فقالت له يوماً: لا أقدر على أن تغيب عني ولا أن تشتغل بغيري. فَنُودِيَ: إذا كانت هذه لا خالقةً ولا موجدة ، وهي تحب أن تجمع قلبك عليها ، فكيف لا أحب أنا أن تجمع قلبك عليَّ.؟))

قلت: واضح من العبارة أن المتكلم هو الله ، مما يفيد أن ابن عطاء يقول بأن الأولياء يتكلم معهم الله ، ومن البديهي أن الكلام منه سبحانه وتعالى وحي ، فهل يصح مثل هذا.؟!!!!

وقال ابن عطاء صفحة: (٣٠) ما نصه: ((الأحمق من مات ولده وجعل يبكي عليه ، ولا يبكي على ما فاته من الله عز وجل ، فكأنه يقول بلسان حاله: أنا أبكي على ما كان يشغلني عن ربي ، بل كان ينبغي له الفرح بذلك ، ويُقبل على مولاه لأنه أخذ منه ما كان يشغله عنه ، وقبيح بك أن تشيب وأنت طفلُ العقل صغيرهُ)).

قلت: إذا تكلمنا بمقياس الفطرة التي فطر الناس عليها من حب الولد والبكاء على فقده ، سيقول لنا المتصوفة: هذا حال النقص وحال العامة وربما قيل: حال المحروم والمطرود .... ، ولكنني سأستدل هنا بحال سيد ولد آدم بأبي وأمي هو صلى الله عليه وسلم ، فقد روى البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على إبراهيم عليه السلام . أي ابن رسول الله من مارية القبطية . فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم فقبله وشمه. ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: ((يا ابن عوف ؟ إنها رحمة)). ثم أتبعها بأخرى فقال: ((إن العين لتدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما نرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون)).

وأنا أبرأ إلى الله تعالى، من أن يوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي وصف فيه نقص ، ولكنني أردت أن أظهر مدى المخالفة التي وقع فيها ابن عطاء غفر الله له ، عندما نسب ما نسب للرجل يبكي على موت ولده ، وما هذا الذي وصل إليه ابن عطاء إلا نتيجة البعد عن السنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ويقول ابن عطاء الله السكندري: ((سمعت شيخنا (يقصد المرسي أبو العباس) يقول في قوله عز وجل: {ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها} أي: ما نذهب من ولي لله إلا ونأتِ بخير منه أو مثله.[١]

ويعتبر كتاب (الحكم العطائية) من أشهر كتب ابن عطاء الله السكندري ، وقد وجد فيها ما يدل على أن ابن عطاء كغيره من غلاة الصوفية يعتقد وحدة الوجود، والعياذ بالله ،

قلت: من لم تظهر له المخالفات العقدية فيما تقدم ، فليس عليه أن يبحث بعد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[١] لطائف المنن صفحة: ٦٣

❖ عبد الكريم الجيلي وكتابه الإنسان الكامل.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق . حفظه الله . في كتابه (الفكر الصوفي):

هذا عبد الكريم الجيلي يكتب كتابه (الإنسان الكامل) زاعماً أيضاً أنه من الله أخذه، وأن الله أمره بإخراج هذا الكتاب للناس وأنه ليس فيه شيء إلا وهو مؤيد بالكتاب والسنة يقول:

".. ثم ألتمس من الناظر في هذا الكتاب بعد أن أعلمه أني ما وضعت شيئاً في هذا الكتاب إلا وهو مؤيد بكتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه إذا لاح له شيء في كلامي بخلاف الكتاب والسنة فليعلم أن ذلك من حيث مفهومه لا من حيث مرادي الذي وضعت الكلام لأجله فليتوقف عن العمل به مع التسليم إلى أن يفتح الله تعالى عليه بمعرفته، ويحصل له شاهد ذلك من كتاب الله تعالى أو سنة نبيه.

وفائدة التسليم هنا وترك الإنكار أن لا يحرم الوصول إلى معرفة ذلك، فإن من أنكر شيئاً من علمنا هذا حرم الوصول إليه ما دام منكراً، ولا سبيل إلى غير ذلك، بل ويخشى عليه حرمان الوصول إلى ذلك مطلقاً بالإنكار أول وهلة، ولا طريق له إلا الإيمان والتسليم.

واعلم أن كل علم لا يؤيده الكتاب والسنة فهو ضلالة، لا لأجل ما لا تجد أنت له ما يؤيده، فقد يكون العلم في نفسه مؤيداً بالكتاب والسنة، ولكن قلة استعدادك منعتك من فهمه فلن تستطيع أن تتناوله له بهمتك من محله فتظن أنه غير مؤيد بالكتاب والسنة، فالطريق في هذا التسليم وعدم العمل به من غير إنكار إلى أن يأخذ الله بيدك إليه"[١].

علماً بأنه لم يضع فيه شيئاً مطلقاً وافق الكتاب والسنة، بل جمع فيه من الكفر والزندقة أعظم من كل كفر الأولين والآخرين كيف لا وقد جعل كل من عبد شيئاً في الأرض فما عبد إلا الله. بل زعم أنه ليس في الوجود إلا الله، الذي خلق الوجود من نفسه لنفسه فليس هناك إلا هو فهو الرب والعبد، والشيطان والراهب،والسماء والأرض، والظلمات والنور، والحمل الوديع والذئب الكاسر..

[١]. (الإنسان الكامل ص٨)

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً واستغفر الله من تسطير ذلك وكتابته.. اللهم رحماك رحماك.. لقد قلت في كتابك عن الذين ادعوا الألوهية في عيسى وهو نبي كريم ونفس طيبة {كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً}[١] وقلت أيضاً {تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً* أن دعوا للرحمن ولداً* وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا* إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً}[٢].. وهذا الزنديق يا ربي وأمثاله جعلوا كل كلب وخنزير في الأرض، وكل شيطان وإبليس وكل كافر وفاجر جزءاً منك، ومظهراً لك (ومجلى) -حسب عبارتهم- من مجاليك وتجلياتك ثم أنت ترزقهم وتعافيهم وتحلم عليهم سبحانك ما أحلمك وأجلك وأعظمك. لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك. ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

نعود إلى الجيلي وكتابه الذي يقول فيه بالنص:

"وكنت قد أسميت الكتاب على الكشف الصريح وأيدت مسائله بالخبر الصحيح (..انظر) وسميته بالإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل" ثم يقول: "فأمرني الحق الآن بإبرازه بين تصريحه وإلغازه، ووعدني بعموم الانتفاع فقلت طوعاً للأمر المطاع، وابتدأت في تأليفه متكلاً على الحق في تعريفه، فها أنا ذا أكرع من دنه (الدن: هو وعاء الخمر الذي يخمر فيه) القديم، بكأس الاسم العليم، في قوابل أهل الإيمان والتسليم خمرة مرضعة من الحي الكريم، مسكرة الموجود بالقديم) أ.هـ (ص٦).

ما الذي يتكلم عليه الجيلي في هذا الكتاب:

إن كتابه من أوله وآخره يدور حول معنى واحد وهو وصف الله بصفات مخلوقاته، وبيان أن المخلوق هو عين الخالق.. هذا كل ما يريد الجيلي أن يصل إليه وهذا هو ما شرحه شرحاً كاملاً في كتابه، وأضاف أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الإنسان الكامل والإله الكامل الذي اتصف بكل صفات الله بعلوها وسفلها، بحلوها ومرها؛ فقل هو الله أحد معناها كما يفسرها الجيلي: قل يا محمد الإنسان هو الله أحد. فهاء الإشارة في (هو) راجع إلى فاعل قل وهو أنت.. فيكون المعني يا محمد هو أي أنت الله أحد.. هذا هو الكشف الذي كشفه لنا الجيلي من الغيب وهذا هو الكتاب الذي ليس فيه شيء يخالف الكتاب والسنة.

وهذا نص عبارة الجيلي في ذلك:

---

[١]. سورة الكهف (٥)
[٢]. سورة مريم ٩٠- ٩٣)

"الحرف الخامس من هذا الاسم: هو الهاء، فهو إشارة إلى هوية الحق الذي هو عين الإنسان قال الله تعالى (قل) يا محمد (هو) أي الإنسان (الله أحد) فهاء الإشارة في هو راجع إلى فاعل قل وهو أنت، وإلا فلا يجوز إعادة الضمير إلى غير مذكور أقيم المخاطب هنا مقام الغائب التفاتاً بيانياً إشارة إلى أن المخاطب بهذا ليس نفس الحاضر وحده، بل الغائب والحاضر في هذا على السواء.

قال الله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا) ليس المراد به محمداً وحده بل كل راء، فاستدارة رأس الهاء إشارة إلى دوران رحى الوجود الحقي والخلقي على الإنسان، فهو في عالم المثال كالدائرة التي أشارت الهاء إليها، فقل ما شئت إن شئت قلت الدائرة حق وجوفها خلق، وإن شئت قلت الدائرة خلق وجوفها حق فهو حق وهو خلق، وإن شئت قلب الأمر فيه بالإلهام، فالأمر في الإنسان دوري بين أنه مخلوق له ذل العبودية والعجز وبين أنه على صورة الرحمن، فله الكمال والعز.

قال الله تعالى (والله هو الولي) يعني الإنسان الكامل الذي قال فيه (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[١] لأنه يستحيل الخوف والحزن وأمثال ذلك على الله لأن الله هو الولي الحميد (وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) أي الولي، فهو حق منصور في صورة خلقية، أو خلق متحقق بمعاني الإلهية، فعلى كل حال وتقدير وفي كل مقال وتقرير هو الجامع لوصفي النقص والكمال، والساطع في أرض كونه بنور شمس المتعال، فهو السماء والأرض، وهو الطول والعرض، وفي هذا المعنى قلت:

لي الملك في الدارين لم أرى فيهما سواي فأرجو فضله أو فأخشاه
ولا قبل من قبلي فالحق شأنه ولا بعد من بعدي فأسبق معناه
وقد حزت أنواع الكمال وإنني جمال جلال الكل ما أنا إلا هو
فمهما ترى من معدن ونباته وحيوانه مع أنه وسجاياه
ومهما ترى من عنصر وطبيعة ومن هباء الأصل طيب هيولاه
ومهما ترى من أبحر وقفاره ومن شجر أو شاهق طال أعلاه
ومهما ترى من صورة معنوية ومن شهد للعين طال محياه

إلى أن يقول:

فإني ذلك الكل والكل مشهدي أنا المتجلي في حقيقته لا هو" (ص٣١)

ويشرح الجيلي هذا المعنى المجمل تفصيلياً في الباب الستين من كتابه فيقول بالنص:

الباب الملفى ستين: في الإنسان الكامل وأنه محمد صلى الله عليه وسلم وأنه مقابل للحق والخلق.

---

[١]. سورة يونس (٦٣)

"اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين، ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كنائس (الكنيسة مكان العبادة عند النصارى. والمعنى المشار إليه هنا أنه يوصف بالشيء ونقيضه كما قال فريد الدين العطار: وما الكلب والخنزير إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة) فيسمى به باعتبار لباس، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد، وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبد الله، ولقبه شمس الدين، ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام، وله في كل زمان اسم ما يليق بلباسه في ذلك الزمان، فقد اجتمعت به صلى الله عليه وسلم وهو في صورة شيخي الشيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتي، ولست أعلم أنه النبي صلى الله عليه وسلم وكنت أعلم أنه الشيخ، وهذا من جملة مشاهد شاهدته فيها بزبيد سنة ست وتسعين وسبعمائة وسر هذا الأمر تمكنه صلى الله عليه وسلم من التصور بكل صورة، فالأديب إذا رآه في الصورة المحمدية التي كان عليها في حياته فإنه يسميه باسمه، وإذا رآه في صورة ما من الصور وعلم أنه محمد فلا يسميه إلا باسم تلك الصورة، ثم لا يوقع ذلك الاسم الأعلى الحقيقة المحمدية.

ألا تراه صلى الله عليه وسلم لما ظهر في صورة الشبلي رضي الله عنه قال الشبلي لتلميذه أشهد أني رسول الله وكان التلميذ صاحب كشف فعرفه، فقال: أشهد أنك رسول الله، وهذا أمر غير منكور وهو كما يرى النائم فلان في صورة فلان. وأقل مراتب الكشف أن يسوغ به في اليقظة ما يسوغ به اليقظة ما يسوغ به في النوم، ولكن بين النوم والكشف فرقاً وهو أن الصورة التي يرى فيها محمد صلى الله عليه وسلم في النوم لا يوقع اسمها في اليقظة على الحقيقة المحمدية، لأن عالم المثال يقع التعبير فيه فيعبر عن الحقيقة المحمدية إلى حقيقة تلك الصورة في اليقظة، بخلاف الكشف فإنه إذا كشف لك عن الحقيقة المحمدية أنها متجلية في صورة من صور الآدميين، فيلزمك إيقاع اسم تلك الصورة على الحقيقة المحمدية، ويجب عليك أن تتأدب مع صاحب تلك الصورة تأدبك مع محمد صلى الله عليه وسلم. لما أعطاك الكشف أن محمداً صلى الله عليه وسلم متصور بتلك الصورة، فلا يجوز لك بعد شهود محمد صلى الله عليه وسلم فيها أن تعاملها بما كنت تعاملها به من قبل، ثم إياك أن تتوهم شيئاً في قولي من مذهب التناسخ، حاشا لله وحاشا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون ذلك مرادي، بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم له من التمكين في التصور بكل صورة حتى يتجلى في هذه الصورة، وقد جرت سنته صلى الله عليه وسلم أنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملها ليعلي شأنهم ويقيم ميلانهم، فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم" أ.هـ

ثم يستطرد الجيلي حسب اعتقاده مبيناً كيف يكون محمد صلى الله عليه وسلم إنساناً كاملاً، وإلهاً تحققت فيه كل مظاهر الربوبية والألوهية وتجلت فيه كل أسماء الله وصفاته..

ولما كان الله عند الجيلي ومن على طريقته من هؤلاء الزنادقة الملحدين هو هذه المخلوقات لا غير.. استطرد الجيلي مبيناً أن الكون الوجود في كل شيء منه مقابل للذات المحمدية. ففي ذات الرسول شبيه العرش والكرسي، والسماوات والأرض والملائكة والحيوان والنبات والجماد.. وسائر الموجودات التي هي في حقيقتها عند الجيلي هي الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً..

يقول الجيلي شارحاً ذلك:

"واعلم أن الإنسان الكامل مقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه.

فيقابل الحقائق العلوية بلطافته، ويقابل الحقائق السفلية بكثافته، فأول ما يبدو في مقابلته للحقائق الخلقية يقابل العرش بقلبه، قال صلى الله عليه وسلم (قلب المؤمن من عرش الرحمن)، ويقابل الكرسي بآنيته، ويقابل سدرة المنتهى بمقامه، ويقابل القلم الأعلى بعقله، ويقابل اللوح المحفوظ بنفسه، ويقابل العناصر بطبعه، ويقابل الهيولي بقابليته، ويقابل الهباء بحيز هيكله، ويقابل الفلك الأطلس برأيه، ويقابل الفلك المكوكب بمدركته، ويقابل السماء الخامسة بهمته، ويقابل السماء الرابعة بفهمه، ويقابل السماء الثالثة بخياله، ويقابل السماء الثانية بفكره، ويقابل السماء الأولى بحافظته، ثم يقابل زحل بالقوى اللامسة، ويقابل المشتري بالقوى الدافعة، ويقابل المريخ بالقوى المحركة، ويقابل الشمس بالقوى الناظرة، ويقابل الزهرة بالقوى المتلذذة، ويقابل عطارد بالقوى الشامة، ويقابل القمر بالقوى السامعة، ثم يقابل فلك النار بحرارته، ويقابل فلك الماء ببرودته، ويقابل فلك الهواء برطوبته، ويقابل فلك التراب بيبوسته، ثم يقابل الملائكة بخواطره، ويقابل الجن والشياطين بوسواسه، ويقابل البهائم بحيوانيته، ويقابل الأسد بالقوى الباطشة، ويقابل الثعلب بالقوى الماكرة، ويقابل الذئب بالقوى الخادعة، ويقابل القرد بالقوى الحاسدة، ويقابل الفأر بالقوى الحريصة، وقس على ذلك باقي قواه، ثم إنه يقابل النار بالمادة الصفراوية، ويقابل الماء بالمادة البلغمية، ويقابل الريح بالمادة الدموية، ويقابل التراب بالمادة السوداوية، ثم يقابل السبعة أبحر بريقه ومخاطه وعرقه ونقاء أذنه ودمعه وبوله والسامع المحيط، وهو المادة الجارية بين الدم والعرق والجلد، منها تتفرع تلك الستة، ولكل واحد طعم، فحلو وحامض، ومر وممزوج، ومالح ونتن وطيب، ثم يقابل الجوهر بهويته وهي ذاته، ويقابل العرض بوصفه، ثم يقابل الجمادات بأنيابه، فإن الناب إذا بلغ وأخذ حده في البلوغ بقي شبه الجمادات لا يزيد ولا ينقص وإذا كسرته لا يلتحم بشيء، ثم يقابل النبات بشعره وظفره، ويقابل الحيوان بشهوانيته، ويقابل مثله من

الآدميين ببشريته وصورته، ثم يقابل أجناس الناس، فيقابل الملك بروحه، ويقابل الوزير بنظره الفكري، ويقابل القاضي بعلمه المسموع، ورأيه المطبوع، ويقابل الشرطي بظنه، ويقابل الأعوان بعروقه وقواه جميعها، ويقابل المؤمنين بيقينه، ويقابل المشركين بشكه وريبه، فلا يزال يقابل كل حقيقة من حقائق الوجود برقيقة من رقائقه، فقد بينا فيما مضى من الأبواب خلق كل ملك مقرب من كل قوى من الإنسان الكامل، وبقي أن نتكلم عن مقابلة الأسماء والصفات.

اعلم أن نسخة الحق تعالى كما أخبر صلى الله عليه وسلم حيث قال: (خلق الله آدم على صورة الرحمن) وفي حديث آخر (خلق الله آدم على صورته) وذلك أن الله تعالى حي عليم قادر مريد سميع بصير متكلم، وكذلك الإنسان حي عليم..الخ.

ثم يقابل الهوية بالهوية، والإنية بالإنية، والذات بالذات، والكل بالكل، والشمول بالشمول، والخصوص بالخصوص، وله مقابلة أخرى يقابل الحق بحقائقه الذاتية، وقد نبهنا عليها في هذا الكتاب في غير ما موضع، وأما هنا فلا يجوز لنا أن نترجم عنها، فيكفي هذا القدر من التنبيه عليها.

ثم اعلم أن الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية، والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك بحكم المقتضي الذاتي، فإنه المعبر عن حقيقته بتلك العبارات والمشار إلى لطيفته بتلك الإشارات ليس لها مستند في الوجود إلا الإنسان الكامل، فمثاله للحق مثال المرآة التي لا يرى الشخص صورته إلا فيها، وإلا فلا يمكنه أن يرى صورة نفسه لا بمرآة الاسم الله فهو مرآته، والإنسان الكامل أيضاً مرآة الحق، فإن الحق تعالى أوجب على نفسه أن لا ترى أسماؤه ولا صفاته إلا في الإنسان الكامل، وهذا معنى قوله تعالى {إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً}[١] يعني قد ظلم نفسه بأن أنزلها عن تلك الدرجة، جهولاً بمقداره لأنه محل الأمانة الإلهية وهو لا يدري" أ.هـ (المصدر السابق ص٧٦،٧٧).

ادعاء رؤية العوالم العلوية والسفلية:

ولا يتوقف هذا الهذيان الذي يطالعنا به الجيلي في كتابه لحظة واحدة فهو يزعم أنه قد كشفت له الحجب فرأى العالم عاليه وسافله وشاهد الملائكة جميعاً وخاطبهم والرسل والأنبياء؛ فها هو يقول ويدعي: "وفي هذا المشهد (يعني بالمشهد اتصال الصوفي بأرواح المخلوقات التي وجدت في الحياة والتي لم توجد أيضاً لأن الأرواح في زعمه مخلوقة أبداً لا تفنى)، اجتماع الأنبياء والأولياء بعضهم ببعض أقمت

[١]. سورة الأحزاب (٧٦)

فيه بزبيد (زبيد: مدينة من مدن اليمن المشهورة) بشهر ربيع الأول في سنة ثمانمائة من الهجرة النبوية فرأيت جميع الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والأولياء والملائكة العالين، والمقربين، وملائكة التسخير، ورأيت روحانية الموجودات جميعها، وكشفت عن حقائق الأمور على ما هي عليه من الأزل إلى الأبد" (انظر) ويستطرد قائلاً "وتحققت بعلوم إلهية لا يسع الكون أن نذكرها فيه" (ص٩٧ ج٢).

ويستطرد الجيلي في هذيانه وكفرياته قائلاً عن مشاهداته المزعومة في خلق السماء الثانية: "رأيت نوحاً عليه السلام في هذه السماء جالساً على سرير خلق من نور الكبرياء بين أهل المجد والثناء فسلمت عليه وتمثلت بين يديه فرد علي السلام ورحب بي وقام".

إلى أن يقول: "وروحانية الملك الحاكم على جميع ملائكة هذه السماء عجائب من آيات الرحمن وغرائب من أسرار الأكوان لا يسعنا إذاعتها في أهل هذا الزمان" (ص١٠٠) أ.هـ.

ويستطرد الجيلي مبيناً مشاهداته المزعومة في السماء الثالثة وأنه رأى يوسف عليه السلام وأنه دار بينهما هذا الحديث الذي يزعم الجيلي في آخره أنه كان يعلم هذه العلوم التي أخبره يوسف بها قبل أن يتفوه بها يوسف. وما هذه العلوم.. إنها هذه الكفريات والهذيانات نفسها وهذا نص عبارته في ذلك:

"اجتمعت في هذه السماء مع يوسف عليه السلام، فرأيته على سرير من الأسرار كاشفاً عن رمز الأنوار عالماً بحقيقة ما انعقدت عليه أكلة الأحبار متحققاً بأمر المعاني، مجاوزاً عن قيد الماء والأواني فسلمت إلى تحية وافد إليه فأجاب وحياً ثم رحب بي وبيا، فقلت له: سيدي أسألك عن قولك {رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث} أي المملكتين تعني وعن تأويل أي الأحاديث تكنى فقال: أردت المملكة الرحمانية المودعة في النكتة الإنسانية (يعني أن يوسف عليه السلام أجابه بأن الله أطلعه عل وجود الرحمن في كيان الإنسان) وتأويل الأحاديث: الأمانات الدائرة في الألسنة الحيوانية، فقلت له يا سيدي أليس هذا المودع في التلويح حللاً من البيان والتصريح. فقال: اعلم أن للحق تعالى أمانة في العباد يوصلها المتكلمون بها إلى أهل الرشاد، قلت: كيف يكون للحق أمانة وهو أصل الوجود في الظهور والإبانة، فقال: ذلك وصفه وهذا شأنه وذاك حكمه وهذه عبارته، والأمانة يجعلها الجاهل في اللسان ويحملها العالم في السر والجنان، والكل في حيرة عنه، ولم يفز غير العارف بشيء منه، فقلت: وكيف ذلك. فقال: اعلم أيدك الله وحماك أن الحق تعالى جعل أسراره كدرر إشارات مودعة في أسرار عبارات (يعني أن سر الخلق قد صحبه الله في أسرار العبارات التي يوحيها إلي)، فهي ملقاة في الطريق دائرة على ألسن الفريق، يجهل العام إشارتها، ويعرف الخاص ما سكن عبارتها، فيؤولها على حسب المقتضى ويؤول بها إلى حيث المرتضى، وهل

تأويل الأحلام إلا رشحة من هذا البحر أو حصاة من جنادل هذا القفر فعلمت ما أشار إليه الصديق ولم أكن قبله جاهلاً بهذا التحقيق، ثم تركته وانصرفت في الرفيق الأعلى ونعم الرفيق" أ.هـ (ص١٠١).

ثم يزعم الجيلي أن السماء الرابعة هي قلب الشمس وأن فيها إدريس وأن أكثر الأنبياء في دائرة هذا الفلك المكين مثل عيسى وسليمان وداود وإدريس وجرجيس.. وغيرهم.. الخ.

أسمعتم يا مسلمون نبياً من أنبياء الله يسمى جرجيس،.. ها هو الجيلي اطلع عليه في السماء وجاءكم باسمه كما جاءكم باسم ملك يسمى توحائيل.. أنظرتم كيف يكون الكشف وعلم الغيب. هذه هي نماذجه. وأما السماء الخامسة عند الجيلي فهي سماء الكوكب المسمى بهرام.. وحاكم هذه السماء عزرائيل وهو روحانية المريخ صاحب الانتقام والتوبيخ.. (هكذا والله..) ويستطرد الجيلي فيصف السماء السادسة فهي عنده كوكب المشتري.. ويقول "رأيت فيها موسى عليه السلام متمكناً في هذا المقام واضعاً قدمه على هذه السماء قابضاً بيمينه (يلاحظ في هذا التخليط والتقول على الله أن هؤلاء الكاذبين يعمدون إلى الوحي القرآني والحديثي فيأخذون منه ما يشاءون ويخلطونه بهذه الأكاذيب ويزعمون أن ذلك هو الكشف الذي كشف لهم فذكر منصبة موسى على ساق سدرة المنتهى مأخوذ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم أكون أول من يفيق فأجد موسى باطشاً بساق العرش) ساق سدرة المنتهى سكران من خمر تجلي الربوبية.." أي موسى انطبعت في مرآة علمه أشكال الأكوان وتجلت فيه ربوبية الملك الديان.. وأنه دار بينه وبين الجيلي هذا الحوار.. يقول الجيلي بالنص:

"فوقفت متأدباً بين يديه، وسلمت بتحقيق مرتبته عليه، فرفع رأسه من سكرة الأزل ورحب بي ثم أهل، فقلت له: يا سيدي قد أخبر الناطق بالجواب الصادق في الخطاب، أنه قد برزت لك خلعة لن تراني من ذلك الجناب، وحالتك هذه غير حالة أهل الحجاب، فأخبرني بحقيقة هذا الأمر العجاب، فقال: اعلم أنني لما خرجت من مصر أرضي إلى حقيقة فرضي، ونوديت من طور قلبي بلسان ربي من جانب شجرة الأحدية في الوادي المقدس بأنوار الأزلية {إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني} فلما عبدته كما أمر في الأشياء، وأثنيت عليه بما يستحقه من الصفات والأسماء تجلت أنوار الربوبية لي فأخذني عني، فطلبت البقاء في مقام اللقاء، ومحال أن يثبت المحدث لظهور القديم، فنادى لسان سري مترجماً عن ذلك الأمر العظيم، فقلت: {رب أرني أنظر إليك} فأدخل بانيتي في حضرة القدس عليك فسمعت الجواب من ذلك الجناب {لن تراني ولكن انظر إلى الجبل} وهي ذاتك المخلوقة من نوري في الأزل، {فإن استقر مكانه} بعد أن أظهر القديم سلطانه {فسوف تراني فلما تجلّى ربه للجبل} وجذبتني حقيقة الأزل وظهر القديم على المحدث {جعله دكاً وخر موسى صعقاً} فلم يبق في القديم إلا القديم، ولم يتجل بالعظمة إلا العظيم،

هذا على أن استيفاؤه غير ممكن وحصره غير جائز، فلا تدرك ماهيته ولا ترى ولا يعلم كنهه ولا يدري، فلما اطلع ترجمان الأزل على هذا الخطاب أخبركم به من أم الكتاب (أي أن الجيلي اطلع على هذه المكاشفة من أم الكتاب) فترجم بالحق والصواب، ثم تركته وانصرفت وقد اغترفت من بحره ما اغترفت (ص١٠٤) أ.هـ.

ويستطرد الجيلي مبيناً مشاهداته في هذه السماء فيقول: "ثم إني رأيت ملائكة هذه السماء مخلوقة على سائر أنواع الحيوانات فمنهم من خلقه الله تعالى على هيئة الطائر وله أجنحة لا تنحصر للحاصر، وعبادة هذا النوع خدمة الأسرار ورفعها من حضيض الظلمة إلى عالم الأنوار، ومنهم من خلقه الله تعالى على هيئة الخيول المسومة، وعبادة هذه الطائفة المكرمة رفع القلوب من سجن الشهادة إلى فضاء الغيوب، ومنهم من خلقه الله تعالى على هيئة النجائب وفي صورة الركائب، وعبادة هذا النوع رفع النفوس إلى عالم المعاني من عالم المحسوس، ومنه من خلقه الله تعالى على هيئة البغال والحمير!! وعبادة هذا النوع رفع الحقير وجبر الكسير والعبور من القليل إلى الكثير ومنهم من خلقه الله تعالى على صرة الإنسان وعبادة هؤلاء حفظ قواعد الأديان، ومنهم من خلق على صفة بسائط الجواهر والأعراض وعبادة هؤلاء إيصال الصحة إلى الأجسام المراض، ومنهم من خلق على أنواع الحبوب والمياه وسائر المأكولات والمشروبات، وعبادة هؤلاء إيصال الأرزاق إلى مرزوقها من سائر المخلوقات، ثم إني رأيت في هذه السماء ملائكة مخلوقة بحكم الاختلاط مزجاً، فالنصف من نار والنصف من ماء عقد ثلجاً، فلا الماء يفعل في إطفاء النار ولا النار تغير الماء عن ذلك القرار" (ص١٠٥).

وأما السماء السابعة التي شاهدها الجيلي وجاء يقص علينا مشاهداته فهي السماء السابعة، وهي عنده زحل، ويحكى أنه شاهد فيها إبراهيم عليه السلام قائماً في هذه السماء وله منصة يجلس عليها على يمين العرش من فوق الكرسي وهو يتلو آية {الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق..}.

ويستطرد الجيلي بعد ذلك تبجحاً أنه صعد إلى سدرة المنتهى وأنه رأى هناك الملائكة وأنها على هيئات مختلفة وأمامهم سبعة، ثم ثلاثة ثم ملك مقدم يسمى عبد الله.. وأنهم أخبروه أنهم لم يسجدوا لآدم - هكذا.. علماً بأن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه {فسجد الملائكة كلهم أجمعون* إلا إبليس أبى أن يكون من الساجدين} (الحجر:٣٠-٣١).

فأكد الله سبحانه سجود الملائكة بكل وجميع ولكن جاءنا الجيلي ليخبرنا بأن الملائكة هؤلاء الذين شاهدهم في السماء لم يؤمروا بالسجود لآدم فاكتشف ما لم يعلمه الله ورسوله. وهذا نص عبارته في ذلك:

"ثم رأيت سبعة جملة هذه المائة متقدمة عليهم يسمون قائمة الكروبيين، ورأيت ثلاثة مقدمين على هذه السبعة يسمون بأهل المراتب والتمكين، ورأيت واحداً مقدماً على جميعهم يسمى عبد الله، وكل هؤلاء عالون ممن لم يؤمروا بالسجود لآدم، ومن فوقهم كالملك المسمى بالنون والملك المسمى بالقلم وأمثالهم أيضاً عالون، وبقية ملائكة القرب دونهم، وتحتهم مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل (ليس في ملائكة الله عز وجل ملك يسمى عزرائيل ولم يثبت ذلك في حديث صحيح أو ضعيف ولكنه اسم يجري على ألسنة العامة، ولكن هؤلاء الجهلة يلتقطون مثل هذه الأسماء ويجعلونها كشفاً وعلماً لدنياً وروحياً وإلهاماً لهم فانظر وتعجب..) وأمثالهم.

ورأيت في هذا الفلك من العجائب والغرائب ما لا يسعنا شرحه" (ص١٠٧).

ولا يكتفي الجيلي ببيان كفرياته وهذيانه في السماء فينتقل إلى الأرض وهي عنده ليست أرضاً واحدة بل هو يزعم أنه شاهد سبعة أرضين وسبعة بحار ومحيطات وهاك بعضاً من هذا الهذيان الذي يزعم فيه الجيلي أنه رأى فيه الخضر وموسى، وأفلاطون وأرسطو والاسكندر، إلى هذيان وكفر لا يسع المؤمن عند سماعه وقراءته إلا أن يقول (يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك) وأن يقول أيضاً (الحمد لله الذي عافانا وما علينا ووقانا) وهاك أخي القارئ شيئاً من هذا الهذيان:

"إن الله تعالى لما بسط الأرض جعلها على قرني ثور يسمى البرهوت وجعل الثور على ظهر الحوت في هذا البحر يسمى البهموت، وهو الذي أشار إليه الحق تعالى بقوله {وما تحت الثرى} ومجمع البحرين هذا هو الذي اجتمع فيه موسى عليه السلام بالخضر على شطه، لأن الله تعالى كان قد وعده بأن يجتمع بعبد من عباده على مجمع البحرين، فلما ذهب موسى وفتاه حاملاً لغذائه ووصلا إلى مجمع البحرين لم يعرفه موسى عليه السلام إلا بالحوت الذي نسيه الفتى على الصخرة وكان البحر مداً، فلما جزر بلغ الماء إلى الصخرة فصارت حقيقة الحياة في الحوت، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، فعجب موسى من حياة حوت ميت قد طبخ على النار، وهذا الفتى اسمه يوشع بن نون، وهو أكبر من موسى عليه السلام في السن سنة شمسية وقصتهما مشهورة، وقد فصلنا ذلك في رسالتنا الموسومة (بمسامرة الخليل ومسايرة الصحيب) فليتأمل فيه.

سافر الإسكندرية ليشرب من هذا الماء اعتماداً على كل كلام أفلاطون أن من شرب من ماء الحياة فإنه لا يموت، لأن أفلاطون كان قد بلغ هذا المحل وشرب من هذا البحر فهو باق إلى يومنا هذا في جبل يسمى دواوند، وكان أرسطو تلميذ أفلاطون وهو أستاذ الاسكندر صحب الاسكندر في مسيره إلى مجمع البحرين، فلما وصل إلى أرض الظلمات ساروا وتبعهم نفر من العسكر وأقام الباقون في مدينة تسمى ثُبُتْ

برفع الثاء المثلثة والباء الموحدة وإسكان التاء المثناة من فوق وهو حد ما تطلع الشمس عليه، وكان في جملة من صحب الاسكندر من عسكر الخضر عليه السلام، فساروا مدة لا يعلمون عددها ولا يدركون أمدها وهم على ساحل البحر، وكلما نزلوا منزلاً شربوا من الماء، فلما ملوا من طول السفر أخذوا في الرجوع إلى حيث أقام العسكر، وقد كانوا مروا بمجمع البحرين على طريقهم من غير أن يشعروا به، فما أقاموا عنده ولا نزلوا به لعدم العلامة، وكان الخضر عليه السلام قد ألهم بأن أخذ طيراً فذبحه وربطه على ساقه، فكان يمشي ورجله في الماء، فلما بلغ هذا المحل انتعش الطير واضطرب عليه، فأقام عنده وشرب من ذلك الماء واغتسل منه وسبح فيه، فكتمه عن الاسكندر وكتم أمره إلى أن خرج، فلما نظر أرسطو إلى الخضر عليه السلام علم أنه قد فاز من دونهم بذلك، فلزم خدمته إلى أن مات واستفاد من الخضر هو والاسكندر علوماً جمة" (ص١١٧).

ويستطرد الجيلي شارحاً له عن طريق كشوفاته وهذيانه فيقول:

".. واعلم أن الخضر عليه السلام قد مضى ذكره فيما تقدم، خلقه الله تعالى من حقيقته {ونفخت فيه من روحي} فهو روح الله، فلهذا عاش إلى يوم القيامة، اجتمعت به وسألته، ومنه أروي جميع ما في هذا البحر المحيط (جميع الصوفية يزعمون أن كل ما ينقلونه من علومهم يسمعونه من الخضر، وقد زاد الجيلي أن الخضر مخلوق من روح الله.. ولا يعلم هذا الجاهل أن آدم هو الذي أمر الله جبريل أن ينفخ فيه وجبريل هو روح الله وليس الخضر خلقاً خاصاً).

واعلم أن هذا البحر المحيط المذكور، وما كان منه منفصلاً عن جبل (ق) مما يلي الدنيا فهو مالح وهو البحر المذكور، وما كان منه متصلاً بالجبل فهو وراء المالح، فإنه البحر الأحمر الطيب الرائحة وما كان من وراء جبل (ق) متصلاً بالجبل الأسود فإنه البحر الأخضر، وهو من الطعم كالسم القاتل، ومن شرب منه قطرة هلك، وفني لوقته، وما كان منه وراء الجبل يحكم الانفصال والحيطة والشمول بجميع الموجودات فهو البحر الأسود الذي لا يعلم له طعم ولا ريح ولا يبلغه أحد، بل وقع به الأخبار، فعلم وانقطع عن الآثار فكتم.

وأما البحر الأحمر الذي نشره كالمسك الأذفر فإنه يعرف بالبحر الأسمى ذي الموج الأنمى، رأيت على ساحل هذا البحر رجالاً مؤمنين، ليس لهم عبادة إلا تقريب الخلق إلى الحق، قد جبلوا على ذلك، فمن عاشرهم أو صاحبهم عرف الله بقدر معاشرتهم، وتقرب إلى الله بقدر مسايرتهم، وجوههم كالشمس الطالع والبرق اللامع، يستضيء بهم الحائر في تيهات القفار، ويهتدي بهم التائه في غيابات البحار، إذا أرادوا السفر في هذا البحر نصبوا شركاً لحيتانه، فإذا اصطادوا ركبوا عليها لأن مراكب هذا البحر حيتانه،

ومكتسبه لؤلؤه ومرجانه، ولكنهم عند أن يستووا على ظهر هذا الحوت ينتعشون بطيب رائحة البحر فيغمى عليهم، فلا يفيقون إلى أنفسهم، ولا يرجعون إلى محسوسهم ما داموا راكبين في هذا البحر، فتسير بهم الحيتان إلى أن يأخذوا حدها من الساحل، فتقذف بهم في منزل من تلك المنازل، فإذا وصلوا إلى البر وخرجوا من ذلك البحر، رجعت إليهم عقولهم، وبان لهم محصولهم فيظفرون بعجائب وغرائب لا تحصر، أقل ما يعبر عنها، بأنها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" (ص١١٨) .

وفي ختام هذا الهذيان يقول الجيلي:

"وأما البحر السابع فهو الأسود القاطع، لا يعرف سكانه، ولا يعلم حيتانه، فهو مستحيل الوصول غير ممكن الحصول، لأنه وراء الأطوار وآخر الأكوار والأدوار، لا نهاية لعجائبه، ولا آخر لغرائبه، قصر عنه المدى فطال، وزاد على العجائب حتى كأنه المحال، فهو بحر الذات الذي حارت دونه الصفات، وهو المعدوم الموجود والموسوم والمفقود والمعلوم والمجهول والمنقول والمحتوم والمعقول، وجوده فقدانه، أوله محيط بآخره وباطنه مستو على ظاهره، لا يدرك ما فيه، ولا يعلمه أحد فيستوفيه، فلنقبض العنان عن الخوض فيه والبيان (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) وعليه التكلان" (ص١١٨) أ.هـ.

وهكذا يكون الهذيان مختوماً بقوله تعالى {والله يقول الحق وهو يهدي السبيل..} ..أعرفتم الحق الذي يدعونا إليه الجيلي ومن على شاكلته من هؤلاء الملاحدة والزنادقة؟ إنه هذا الهذيان الذي لا أول له ولا آخر.

ما الذي يريده هؤلاء الملاحدة؟!

وقد يسأل سائل: وما الذي يريده هؤلاء من تأليف هذه الكتب، ونشر هذا الجنون والهذيان؟! ولست أنا الذي سأجيب عن هذا السؤال، وإنما سأثبت الجواب من كلام الجيلي نفسه. إنه يقول بالنص:

"اعلم أن الله تعالى إنما خلق جميع الموجودات لعبادته، فهم مجبولون على ذلك مفطورون عليه من حيث الأصالة، فما في الوجود شيء إلا هو يعبد الله بحاله ومقاله وفعاله، بل بذاته وصفاته، فكل شيء في الوجود مطيع لله تعالى، لقوله تعالى للسماوات والأرض {ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين} وليس المراد بالسماوات إلا أهلها، ولا بالأرض إلا سكانه. وقال تعالى {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون} ثم شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يعبدونه بقوله ((كل ميسر لما خلق له)) لأن الجن والإنس مخلوقون لعبادته وهم ميسرون لما خلقوا له، فهم عباد الله بالضرورة، ولكن تختلف العبادات لاختلاف مقتضيات الأسماء والصفات، لأن الله تعالى متجل باسمه المضل، كما هو متجل باسمه الهادي، فكما يجب ظهور أثر اسمه المنعم، كذلك يجب ظهور أثر اسمه المنتقم. واختلاف الناس في أحوالهم لاختلاف

أرباب الأسماء والصفات، قال تعالى {كان الناس أمة واحدة} يعني عباد الله مجبولون على طاعته من حيث الفطرة الأصلية، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ليعبده من اتبع الرسل من حيث اسمه المضل، فاختلف الناس وافترقت الملل وظهرت النحل، وذهبت كل طائفة إلى ما علمته أنه صواب.

ولو كان ذلك العلم عند غيرها خطأ ولكن حسنه الله عندها ليعبدوه من الجهة التي تقتضيها تلك الصفة المؤثرة في ذلك الأمر، وهذا معنى قوله {ما من دابة في الأرض إلا هو آخذ بناصيتها} فهو الفاعل بهم على حسب ما يريد مريده، وهو عين ما اقتضته صفاته، فهو سبحانه وتعالى يجزيهم على حسب مقتضى أسمائه وصفاته، فلا ينفعه إقرار أحد بربوبيته ولا يضره جحود أحد بذلك، بل هو سبحانه وتعالى يتصرف فيهم على ما هو مستحق لذلك من تنوع عباداته التي تنبغي لكماله، فكل من في الوجود عابد لله تعالى، مطيع لقوله تعالى {وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم}، لأن من تسبيحهم ما يسمى مخالفة ومعصية وجحوداً وغير ذلك، فلا يفقهه كل أحد، ثم إن النفي إنما وقع على الجملة، فصح أن يفقهه البعض؛ فقوله {ولكن لا تفقهون تسبيحهم} يعني من حيث الجملة، فيجوز أن يفقهه بعضهم" (ص١٢٠).

وبعد أن يذكر الجيلي طوائف الناس وملهم يقول : "فكل هذه الطوائف عابدون لله تعالى كما ينبغي أن يعبد لأنه خلقهم لنفسه لا لهم فهم له كما يستحق ثم إنه سبحانه وتعالى أظهر في هذه الملل حقائق أسمائه وصفاته فتجلى في جميعها بذاته فعبدته جميع الطوائف" (ص١٢٢).

ويشرح هذا المعنى تفصيلياً فيقول:

"فأما الكفار فإنهم عبدوه بالذات، لأنه لما كان الحق سبحانه وتعالى حقيقة الوجود بأسره والكفار من جملة الوجود وهو حقيقتهم فكفروا أن يكون لهم رب لأنه تعالى حقيقتهم ولا رب له بل هو الرب المطلق، فعبدوه من حيث ما تقتضيه ذواتهم التي هو عينها (وما دام أنهم في زعمه وكفره هم عين الله فهم ينفذون لثبته وأمره بل هم الله فلا حاجة بهم إلى أن يعلموا ذلك أو لا يعلموه. وبالتالي فكفرهم بإله غيرهم وخارج عن طبيعتهم هو عين الإيمان وعين الحق في نظر الجيلي الزنديق ومن على شاكلته من هؤلاء الملاحدة الذين لم تعرف الأرض أفجر ولا أكفر منهم).

ثم من عبد منهم الوثن فلسر وجوده سبحانه بكماله بلا حلول ولا مزج في كل فرد من أفراد ذوات الوجود، فكان تعالى حقيقة تلك الأوثان التي يعبدونها فما عبدوا إلا الله" (ص١٢٢).

وأظن أنه ليس هناك عبارة أصرح وأوضح من هذه العبارات تبين المقصود والمآل الذي يرمي المتصوفة والوصول إليه.

ويستطرد الجيلي مبيناً عقائد الناس وأنهم جميعاً على حق. فيقول عن اليهود : "وأما اليهود فإنهم يتعبدون بتوحيد الله تعالى ثم بالصلاة في كل يوم مرتين.. ويتعبدون بالاعتكاف يوم السبت، وشرط الاعتكاف عندهم أن لا يدخل في بيته شيئاً مما يتمول به، ولا مما يؤكل، ولا يخرج منه شيئاً، ولا يحدث فيه نكاحاً ولا بيعاً ولا عقداً، وأن يتفرغ لعبادة الله تعالى لقوله تعالى في التوراة:

(أنت وعبدك وأمتك لله تعالى في يوم السبت)، فلأجل هذا حرم عليهم أن يحدثوا في يوم السبت شيئاً مما يتعلق بأمر دنياهم، ويكون مأكوله مما جمعه يوم الجمعة، وأول عندهم إذا غربت الشمس من يوم الجمعة، وآخره الاصفرار من يوم السبت.

وهذه حكمة جليلة؛ فإن الحق تعالى خلق السماوات والأرضين في ستة أيام، وابتدأها في يوم الأحد ثم استوى على العرش في اليوم السابع وهو يوم السبت، فهو يوم الفراغ، فلأجل هذا عبد الله اليهود بهذه العبادة في هذا اليوم إشارة إلى الاستواء الرحماني وحصوله في هذا اليوم فافهم" (ص١٢٧).

ثم يقول مادحاً النصارى كذلك فيقول:

"وأما النصارى فإنهم أقرب من جميع الأمم الماضية إلى الحق تعالى، فهم دون المحمديين، سببه أنهم طلبوا الله تعالى فعبدوه في عيسى ومريم وروح القدس، ثم قالوا بعدم التجزئة، ثم قالوا بمقدمه على وجوده في محدث عيسى وكل هذا تنزيه في تشبيه لائق بالجناب الإلهي".

أي أن فعل النصارى هذا من تشبيه الله بخلقه ومن عبادة الثلاث ومن اتخاذ أرباب مع الله كل ذلك لائق في عقيدة عبد الكريم الجيلي ولكنه يراهم أيضاً مقصرون لأنهم حصروا الله في ثلاث نقط، والله عنده لا ينحصر في ثلاثة لأن كل موجود هو الله.

هذه هي الغاية التي يسعى هؤلاء الزنادقة سعياً حثيثاً إليها. إنها التسوية بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والكفر والإيمان، وإبليس وجبريل، ومحمد صلى الله عليه وسلم وأبو جهل، والخمر والماء، والأخت والأجنبية، والزواج والزنا واللواط، والقتل ظلماً والرحمة، والتوحيد والشرك، فلا ضلال في الأرض إلا في نظر القاصرين فقط، وأما العارفون فكل هذه الموجودات شيء واحد بل ذات واحدة تعددت وجوداتها، وتعددت أشكالها وألوانها وهي حقيقة واحدة -وبهذا الدين الذي لم تعرف البشرية أظلم ولا أفجر ولا أكفر منه- اعتقد هؤلاء الزنادقة وألبسوا هذا الدين الفاجر آيات القرآن وأحاديث النبي الكريم، ووصفوا أنفسهم بأنهم خير الناس وأعلمهم وأتقاهم، وهذه هي حالهم في الظلم والكفر والفجور، وهدم

دين الإسلام وإحلال شرائع الشيطان مكان شريعة الرحمن، وطمس صفات الله ونوره سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وأستغفر الله من نقل هذا الكفر وتسطيره.

فإنه كفر لم تقله اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا الصابئة.. ورحم الله الإمام عبد الله بن المبارك الذي كان يقول: إنا لنحكي كفر اليهود والنصارى ونستعظم أن نحكي كفر الجهمية.. فكيف لو رأى كفر هؤلاء الصوفية الملاحدة ماذا كان يقول في ذلك؟!

حقاً إن هذا لشيء عظيم ولكننا مضطرون أن نذكر كفرهم لندحضه ولنبينه للناس ليحذرون بعد أن عم شرهم البلاد والعباد، وبعد أن اغتر بهم جمع غفير من المسلمين، فظنوا أن الحق مع هؤلاء فاتبعوهم حتى صرفوهم عن دين الرسول صلى الله عليه وسلم وأوصلوهم إلى هذه النهاية المزرية التي يستحيل على الإنسان إذا وصلها أن يميز بين خير وشر، وهدى وضلالة، لأن كل هذه الأضداد ستكون عنده شيئاً واحداً.

ومع ذلك فإن الجيلي يستطرد في هذا الباب شارحاً مراده تماماً فيقول:

"ولم يفتقر في ذلك إلى علمهم، ولا يحتاج إلى نياتهم، لأن الحقائق ولو طال إخفاؤها لا أن تظهر" أ.هـ. يعني أن الله لا يحتاج أن يعلم الكافر به ما دام أن وجود هذا الكافر هو وجود الله، وأن هذه الحقيقة لا بد وأن تظهر للعيان يوماً ما..

ويمضي الجيلي شارحاً معتقده فيقول..

"وأما الطباعية فإنهم عبدوه من حيث صفاته الأربع.، لأن أربعة الأوصاف الإلهية.. التي هي الحياة والعلم والقدرة والإرادة أصل بناء الوجود فالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة مظاهرها في عالم الأكوان، فالرطوبة مظهر الحياة، والبرودة مظهر العلم، والحرارة مظهر الإرادة، واليبوسة مظهر القدرة. وحقيقة هذه المظاهر ذات الموصوف بها سبحانه وتعالى.. فعبدت هذه الطبائع لهذا السر فمنهم من علم ومنهم من جهل العالم سابق، والجاهل لاحق فهم عابدون للحق من حيث الصفات، ويؤول أمرهم إلى السعادة كما آل أمر من قبلهم إليها بظهور الحقائق التي بني أمرهم عليها" (ص١٢٣-١٢٤).

وهكذا يقرر الجيلي أن الفلاسفة الطبائعيين الذين قالوا برجوع الطبيعة إلى العناصر الأربعة هم عابدون لله شاؤوا أم أبوا، علموا أم جهلوا، وأن أمرهم إلى السعادة الأبدية. ويستدل لهذا الكفر الشنيع أيضاً بالقرآن فيقول: "والدليل من القرآن أن الله قال في الأحزاب المختلفين {كل حزب بما لديهم فرحون} فيقول: "إن فرحهم هذا في الدنيا والآخرة، فكل حزب يفرح بما عنده في الدنيا، ويفرح به أيضاً في الآخرة عندما يطلع الجميع أنه لا ثمة إلا الله وأنهم جميعاً مظاهر للذات الإلهية، وليسوا شيئاً خارجاً عنها".

وهكذا يستخدم القرآن أيضاً في هذا الكفر والباطل الذي لم تعرف البشرية له مثيلاً في كل تاريخها فقد ارتكز في الفطرة أن هناك حقاً وباطلاً، هدى وضلالاً، نوراً وظلاماً، كذباً وصدقاً، وإيماناً..، ولكن عند هؤلاء الصوفية كل هذا شيء واحد وحق واحد اختلفت مظاهره ولم تختلف حقيقته فالجنة والنار كلاهما نعيم، وإبليس وجبريل كلاهما عابد، بل معبود، بل شيء تعددت صفاته بتعدد موجوداته..

ويستطرد الجيلي في شرح كفره وفجوره فيقول:

"وأما الثنوية فإنهم عبدوه من حيث نفسه تعالى، لأنه تعالى جمع الأضداد بنفسه، فشمل المراتب الحقية والمراتب الخلقية، وظهر في الوصفين بالحكمين، وظهر في الدارين بالنعتين، فما كان منسوباً إلى الحقيقة الحقية فهو الظاهر في الأنوار وما كان منسوباً إلى الحقيقة الخلقية فهو عبارة عن الظلمة، فعبدوا النور والظلمة لهذا السر الإلهي الجامع للوصفين والضدين والاعتبارين والحكمين كيف شئت من أي حكم شئت، فإنه سبحانه يجمعه وضده بنفسه.

فالثنوية عبدوه من حيث هذه اللطيفة الإلهية مما يقتضيه في نفسه سبحانه وتعالى، فهو المسمى بالحق، وهو المسمى بالخلق، فهو النور والظلمة" (ص١٢٥) أ.هـ.

بهذا الوضوح شرح الجيلي مذهب الفلاسفة الصوفية الزنادقة الملاحدة، وبهذا التفصيل والبيان يستطرد أيضاً قائلاً:

"وأما المجوس فإنهم عبدوه من حيث الأحدية، فكما أن الأحدية مفنية لجميع المراتب والأسماء والأوصاف، كذلك النار فإنها أقوى الاستقصاءات وأرفعها، فإنها مفنية لجميع الطبائع بمحاذاتها، لا تقاربها طبيعة إلا تستحيل إلى النارية لغلبة قوتها، فكذلك الأحدية لا يقابلها اسم ولا وصف إلا يندرج فيها ويضمحل، فلهذه اللطيفة عبدوا النار وحقيقتها ذاتها وتعالى".

فيجعل المجوس قسماً غير الثنوية والمعلوم أنهم قسم واحد فالثنوية القائلون بالنور والظلمة وإله للخير وإله للشر هم أيضاً المجوس عبدة النار التي يجعلونها ستاراً وعلامة لإلهم إله الخير في زعمهم ولكن الجيلي الملحد يجعل هؤلاء أيضاً عبدة النيران من أهل الحق والتوحيد وأن عبادتهم للنار حق أقوى العناصر وأرفعها ويقول والنار حقيقتها ذات الله تعالى. فأي كفر يا قوم في الأرض أعظم من هذا وأكبر..

ويمدح الجيلي المجوس فيقول:

"فلما انتشقت مشام أرواح المجوس لعطر هذا المسك زكمت عن شمه سواه فعبدوا النار وما عبدوا إلا الواحد القهار" ا.هـ (ص١٢٦).

فأي تصريح عن عقائد القوم أبلغ من هذا..

ثم يقول: "وأما الدهرية (أي الاسم) فإنهم عبدوه من حيث الهوية (الدهرية: هم القائلون بأنه لا إله والحياة مادة فما هي أرحام تدفع وأرض يبلع واسمهم هذا مأخوذ من قوله تعالى {وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن إلا يظنون} (الجاثية:٢٤)) فقال عليه الصلاة والسلام: ((لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر))"

قلت: هذا إبليس والزنادقة لم يصل إلى هذا الحد في الكفر فالمقصود بقول رسول الله ((إن الله هو الدهر)) هو أنه سبحانه وتعالى مقدر المقادير؛ فسب الأيام سب لله لأنه هو مقدر المقادير سبحانه وتعالى والزمان لا دخل له في ذلك. فنهانا الرسول صلى الله عليه وسلم عن سب الزمان لأن هذا من ثم يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى. وليس مقصود الرسول حتماً أن الله هو الزمان لأن الله جل وعلا هو خالق الزمان والمكان والخالق غير المخلوق. وأما الدهرية فإنهم لا يؤمنون بإله أصلاً والجيلي يجعل هؤلاء الملاحدة عباداً لله ...

❖ أبو يزيد البسطامي

هو طيفور بن عيسى بن آدم بن شروسان ، ولد في بسطام من أصل مجوسي ، نسبت إليه أقوال شنيعة , توفي سنة (٢٦١هـ) ولم يعرف عنه التأليف.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ((وقد حُكي عنه شطحاتٌ ناقصاتٌ، وقد تأوَّلها كثيرٌ من الفقهاء والصوفية، وحملوها على محاملَ بعيدةٍ، وقد قال بعضُهم إنَّه قال ذلك في حال الاصطلام- الاصطلام: القطع عن الوجود أو الفناء- والغيبة. ومن العلماء مَن بدّعه وخطّأه وجعل ذلك من أكبر البدع، وأنَّها تدلُّ على اعتقادٍ فاسدٍ كامِنٍ في القلب ظهر في أوقاته))[١]

وقال الإمام الذهبي: ((نعوذ بالله من الإشارات الحلاجية ، والشطحات البسطامية ، وتصوف الاتحادية ، فواحزناه على غربة الإسلام والسنة))[٢].

ومن أقوال أبي يزيد:

قوله ناعياً على علماء الشريعة مفاخراً لهم: ((أخذتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون: حدثني فلان، وأين هو؟ قالوا: مات، عن فلان وأين هو؟ قالوا: مات)).[٣]

ويقول أبو يزيد البسطامي: ((خُضنا . أي نحن الأولياء . بحوراً وقفت الأنبياء بسواحلها)).[٤] ويقول أيضاً: ((تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد صلى الله عليه وسلم، لوائي من نور تحته الجن والإنس كلهم من النبيين)). (الإنسان الكامل للجيلي: ١٦).

وقال الغزالي غفر الله له: ((وكان أبو يزيد وغيره يقول: ليس العالِم الذي يحفظ من كتاب، فإذا نسي ما حفظه صار جاهلاً، إنما العالِم الذي يأخذ علمَهُ من ربّه أيّ وقتٍ شاء بلا حفظٍ ولا درسٍ!))[٥]ويحدثنا عنه أبو حامد الغزالي فيقول: ((حُكي أن شاهداً عظيم القدر من أعيان أهل (بسطام) كان لا يفارق

---

[١] البداية والنهاية: ١١ـ٣٨
[٢] سير أعلام النبلاء ١٣ـ ٤٤٢
[٣] .الفتوحات المكية ج١ـص٣٦٥ ، والمواهب السرمدية صفحة ٤٩ , والأنوار القدسية ٩٩ , وطبقات الشعراني ١ـ٥ , وتلبيس إبليس صفحة ٣٤٤, والرحمة الهابطة صفحة ٣٠٩).
[٤] الإبريز: ٢ـ٢١٢
[٥] الإحياء: ٣ـ٢٤

مجلس أبي يزيد البسطامي فقال يوماً: أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر ولا أفطر، وأقوم ولا أنام، ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئاً، وأنا أصدق به وأحبه!

فقال أبو يزيد: ولو صمت ثلاثمائة سنة، وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة!! قال: ولم؟ قال: لأنك محجوب بنفسك. قال: فلهذا دواء؟ قال: نعم. قال: قل لي حتى أعمله. قال: لا تقبله. قال: فاذكره لي حتى أعمل. قال: اذهب إلى المزين فاحلق رأسك ولحيتك، وانزع هذا اللباس، واتزر بعباءة، وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزاً، واجمع الصبيان حولك، وقل.. كل من صفعني صفعة أعطيته جوزة، وادخل السوق، وطف الأسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك، وأنت على ذلك!!

فقال الرجل: سبحان الله، تقول لي مثل هذا؟ فقال أبو يزيد: قولك.. "سبحان الله" شرك!! قال: وكيف؟ قال: لأنك عظمت نفسك، فسبحتها، وما سبحت ربك. فقال: هذا لا أفعله، ولكن دلني على غيره. فقال ابتدئ بهذا قبل كل شيء. فقال: لا أطيقه. فقال: قد قلت لك.. إنك لا تقبل..!))[١]

ويذكر البسطامي كذلك عن نفسه ما يأتي: ((رفعني مرة فأقامني بين يديه، وقال لي: يا أبا يزيد! إن خلقي يحبون أن يروك، فقلت: زيني بوحدانيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هنا))[٢]

وحكى القشيري في ترجمة أبي يزيد البسطامي ((وسئل عند ابتدائه وزهد , فقال: ليس للزهد منزلة , فقيل له: لماذا ؟ فقال: لأني كنت خلال ثلاثة أيام في الزهد , فلما كان اليوم الرابع خرجت منه , ففي اليوم الأول زهدت في الدنيا وما فيها , وفي اليوم الثاني زهدت في الآخرة وما فيها , وفي اليوم الثالث زهدت فيما سوى الله تعلى , فيما كان اليوم الرابع لم يبق لي سوى الله تعالى فَهِمْتُ , فسمعت قائلا يقول: يا أبا يزيد لا تقو معنا , فقلت: هذا الذي أريد , فسمعت قائلا يقول: وجدت وجدت)).[٣]

قال أبو عبد الرحمن السلمي في كتابه المحن: ((وأنكر أهل بسطام على أبي يزيد البسطامي ما كان يقول حتى إنه ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول: لي معراج كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم معراج فأخرجوه من بسطام، وأقام بمكة سنتين ثم رجع إلى جرجان فأقام بها إلى أن مات الحسين بن عيسى ثم رجع إلى بسطام)).

---

[١] إحياء علوم الدين ٤ ـ ٣٥٨
[٢] اللمع: صفحة٤٦١
[٣] الرسالة القشيرية صفحة ٣٩٥

وقال القشيري: ((قيل لأبي يزيد: ما أشد ما لقيت في سبيل الله.؟ فقال: لا يمكن وصفه , فقيل له: ما أهون ما لقيت نفسك منك.؟ قال: أما هذا فنعم , دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبني فمنعتها الماء سنة)).[١]

وكان يوماً يرتدي جبة ففتحها وقال: ((سبحاني ما أعظم شاني ، ما في الجبة إلا الله)).[٢]

ونقل ابن الجوزي عن أبي يزيد أنه قال: ((إن لله عباداً لو بصقوا على جهنم لأطفؤوها ولقد وددت أن قامت القيامة حتى أنصب خيمتي على جهنم , فسأله رجل: و لم ذاك يا أبا يزيد ؟ فقال: إني أعلم أن جهنم إذا رأتني تخمد فأكون رحمة الله للخلق)) ثم قال: ((اللهم إن كان في سابق علمك أن تعذب أحداً من خلقك بالنار فعظم خلقي حتى لا تسع معي غيري)) وقال: ((وما النار.؟ والله لئن رأيتها لأطفئنها بطرف مرقعتي)).[٣]

[١] الرسالة القشيرية صفحة ٣٩٥
[٢] شذرات الذهب ٢ـ١٤٢ ، وفيض القدير ١ـ٤٥٦
[٣] تلبيس إبليس ٣٤١ ـ٣٤٣ ـ٣٤٦

❖ أبو العباس المرسي

هو أحمد بن عمر الأنصاري المالكي ، كان من الزهاد ، تتلمذ على يد أبي الحسن الشاذلي ، وكان الشاذلي يقول: عليكم به ..... ، توفي سنة (٦٨٦ هـ).[١]

ومن أقوال أبي العباس المرسي: ما من وليّ كان أو هو كائن إلا أطلعني الله عليه وعلى اسمه ونسبه وحظه من الله تعالى.[٢]

ولتعلم أخي مدى المخالفة التي يقول بها المرسي وأمثاله من الصوفية إليك التالي:

قال ابن جُزي الكلبي في تفسيره /١٥٥.٢/: {فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ} أي لا يُطلع أحداً على علم الغيب إلا من ارتضى وهم الرسل فإنه يطلعهم على ما شاء من ذلك ، و{مِنْ} ، في قوله {مِنْ رَسُولٍ} لبيان الجنس ، لا للتبعيض ، والرسل هنا يحتمل أن يراد بهم الرسل من الملائكة ، وعلى هذا حملها ابن عطية ، أو الرسل من بني آدم ، وعلى هذا حملها الزمخشري ، واستُدل بها على نفي كرامات الأولياء الذين يدعون المكاشفات ، فإن الله خص الاطلاع على الغيب بالرسل دون غيرهم .اهـ

قلت: وهذه دعوة لتأمل قول الله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ}.[٣]

{قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}.[٤]

وجاء في حاشية كتاب (الديباج المُذهّب) للشيخ أحمد بن أحمد المعروف بابا التنبكتي صفحة: ١٢٧ في ترجمة الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي:

((وعن أبي العباس المرسي قال: جُلْتُ في الملكوت فرأيت سيدي أبا مدين متعلّقاً بساق العرش وهو يومئذٍ رجل أشقر أزرق ، فقلت له: وما علومك وما مقامك؟ فقال: علومي أحدٌ وسبعون علماً ، ومقامي رابع الخلفاء ، ورأس السبعة الأبدال ، وسُئل عما خصه الله به فقال: مقامي العبودية، وعلومي الألوهية ، وصفاتي مستمدة من الصفات الربّانيّة ؛ ملأت عظمته سري وجهري وأضاء بنوره بري و بحري ...)).

---

[١] طبقات الصوفية: ٢٣٨-٢
[٢] معراج التشوف لابن عجيبة: صفحة ٨٨
[٣] . آل عمران /١٧٩
[٤] . النمل /٦٥/

ويقول المرسي أبو العباس: ((لو علمت العراق والشام ما تحت هذه الشعرات لأتوها ولو سعياً على وجوههم)).[١]

ويقول ابن عطاء الله السكندري: ((سمعت شيخنا (يقصد المرسي أبو العباس) يقول في قوله عز وجل: {ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها} أي: ما نذهب من ولي لله إلا ونأتِ بخير منه أو مثله.[٢]

[١] لطائف المنن صفحة: ١٧٩
[٢] لطائف المنن صفحة: ٦٣ وأخذته من الموقع www.alsoufia.com

❖ عبد الوهاب الشعراني

عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري. توفي (٩٧٣هـ) صاحب "الطبقات" المليء بالخزي والضلال والذي أساء فيه إلى الدين إساءةً بالغةً.

فقد قال الشعراني في الطبقات (٢. ٨٧) طبعة دار العلم للجميع: ((الشيخ حسين أبو علي رضي الله عنه ،كان هذا الشيخ رضي الله عنه من كمل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى ، وكان كثير التطورات تدخل عليه بعض الأوقات تجده جنديا ، ثم تدخل فتجده سبعاً ، ثم تدخل فتجده فيلاً ، ثم تدخل فتجده صبياً وهكذا ، ومكث أربعين سنة في خلوة مسدودة بابها ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء وكان يقبض من الأرض ويناول الناس الذهب والفضة ، وكان من لا يعرف أحوال الفقراء يقول هذا كيماوي سيماوي)).

وقال أيضاً: ((فدخلوا على الشيخ فقطعوه بالسيوف وأخذوه في كيس ورموه على الكوم واخذوا على قتله ألف دينار ثم أصبحوا فوجدوا الشيخ حسيناً رضي الله عنه جالساً فقال لهم: غركم القمر. وكانت النموس تتبعه حيث مشى في شوارع وغيرها فسموا أصحابه بالنموسية

وكان رضي الله عنه بريئاً من جميع ما فعله أصحابه من الشطح الذي ضربت به رقابهم في الشريعة)).

وقال أيضاً في الطبقات: (٢. ٦٦) في ترجمة يوسف العجمي الكوراني: ((وكان رضي الله عنه إذا خرج من الخلوة يخرج وعيناه كأنهما قطعة جمر تتوقد فكل من وقع نظره عليه انقلبت عينه ذهباً خالصاً ، ولقد وقع بصره يوماً على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب ، إن وقف وقفوا وان مشى مشوا)). إلى أن قال: ((ووقع له مرة أخرى أنه خرج من خلوة الأربعين فوقع بصره على كلب فانقادت إليه جميع الكلاب ، وصار الناس يهرعون إليه (إلى الكلب) في قضاء حوائجهم ، فلما مرض ذلك الكلب اجتمع حوله الكلاب يبكون ويظهرون الحزن عليه ، فلما مات اظهروا البكاء والعويل ، وألهم الله تعالى بعض الناس فدفنوه فكانت الكلاب تزور قبره حتى ماتوا)).

قال الشعراني: ((فهذه نظرة إلى كلب فعلت ما فعلت ، فكيف لو وقعت على إنسان؟!!!)).

وقال أيضاً في ترجمة شمس الدين محمد الحنفي (٨٨٢): ((ومنهم سيدنا ومولانا شمس الدين الحنفي رضي الله تعالى عنه ورحمه)). إلى أن قال: ((ولما دنت وفاته بأيام كان لا يغفل عن البكاء ليلاً ولا نهاراً

وغلب عليه الذلة والمسكنة والخضوع حتى سأل الله تعالى قبل موته أن يبتليه بالقمل والنوم مع الكلاب ، والموت على قارعة الطريق ، وحصل له ذلك قبل موته فتزايد عليه

القمل حتى صار يمشي على فراشه ، ودخل له كلب فنام معه على الفراش ليلتين وشيئاً ، ومات على طرف حوشه ، والناس يمرون عليه في الشوارع)).

قال: ((وقال له سيدي علي بن وفا: ما تقول في رجل رحى الوجود بيده يدورها كيف شاء.؟ فقال له سيدي محمد رضي الله عنه: فما تقول فيمن يضع يده عليها فيمنعها أن تدور؟)).

وقال أيضاً في ترجمة أبو الخير الكليباتي في الطبقات (١٤٣.٢): ((كان رضي الله عنه من الأولياء المعتقدين وله المكاشفات العظيمة مع أهل مصر وأهل عصره ، وكانت الكلاب التي تسير معه من الجن ، وكانوا يقضون حوائج الناس ، ويأمر صاحب الحاجة أن يشتري للكلب منهم إذا ذهب معه لقضاء حاجته رطل لحم ، وكان أغلب أوقاته واضعاً وجهه في حلق الخلاء في ميضأة جامع الحاكم ، ويدخل الجامع بالكلاب فأنكر عليه بعض القضاة فقال: هؤلاء لا يحكمون باطلاً ولا يشهدون زوراً)).

وقال أيضاً في الطبقات (١٤٤.٢): ((ومنهم سيدي سعود المجذوب رضي الله عنهكان رضي الله عنه من أهل الكشف التام ، وكان له كلب قدر الحمار لم يزل واضعاً بوزه (فمه) على كتفه)).

وقال أيضاً في ترجمة بركات الخياط (١٤٤.٢): ((وكان دكانه منتناً قذراً لأن كل كلب وجده ميتاً أو قطاً أو خروفاً يأتي به فيضعه داخل الدكان وكان لا يستطيع أحد أن يجلس عنده)).

وقال أيضاً في الطبقات (٢. ١٨٤): الشيخ الصالح عبد القادر السبكي أحد رجال الله تعالى كان من أصحاب التصريف بقرى مصر رضي الله عنه: ((وكان كثير الكشف لا يحجبه الجدران والمسافات البعيدة من إطلاعه على ما يفعله الإنسان في قعر بيته.... وخطب مرة عروساً فرآها فأعجبته فتعرى لها بحضرة أبيها ، وقال: انظري أنت الأخرى حتى لا تقولي بعد ذلك ــ ثم أمسك ـ)). عذراً ليس من صلاحيتنا أن ننشر مثل هذا الكلام.

وقال أيضاً: الشيخ علي أبو خودة الطبقات (١٣٥.٢): ((وكان رضي الله عنه إذا رأى امرأة أو أمرداً راوده عن نفسه ، وحسس على مقعدته ، سواء كان ابن أمير ، أو ابن وزير ، ولو كان بحضرة والده ، أو غيره ، ولا يلتفت إلى الناس ولا عليه من أحد)).

وقال أيضاً في الطبقات (٢ .١٨٥): ((الشيخ شعبان المجذوب رضي الله عنه ، كان من أهل التصريف بمصر المحروسة ، وكان يخبر بوقائع الزمان المستقبل واخبرني سيدي علي الخواص رضي الله عنه أن الله تعالى يطلع الشيخ شعبان على ما يقع في كل سنة من رؤية هلالها ، فكان إذا رأى الهلال عرف جميع ما فيه مكتوباً على العباد)).

وقال: ((وكان يقرأ سورا غير السور التي في القرآن على كراسي المساجد يوم الجمعة وغيرها فلا ينكر عليه أحد ، وكان العامي يظن أنها من القرآن لشبهها بالآيات في الفواصل)).

وقال: ((وقد سمعته مرة يقرأ على باب دار، على طريفة الفقهاء الذين يقرؤون في البيوت فأصغيت إلى ما يقول فسمعته يقول: "وما انتم في تصديق هود بصادقين ، ولقد أرسل الله لنا قوماً بالمؤتفكات يضربوننا ويأخذون أموالنا وما لنا من ناصرين" ثم قال: الهم اجعل ثواب ما قرأناه من الكلام العزيز في صحائف فلان وفلان إلى آخر ما قال)).

وقال أيضاً في الطبقات (١٤٢.٢): ((الشيخ إبراهيم العريان رضي الله عنه ،كان يُخرج الريح بحضرة الأكابر ثم يقول: هذه ضرطة فلان ، ويحلف على ذلك ، فيخجل ذلك الكبير منه ، مات رضي الله عنه سنة نيف وثلاثين وتسعمائه)).

((وكان رضي الله عنه يطلع المنبر ويخطب عرياناً ..... فيحصل للناس بسط عظيم)).

وقال أيضاً: ((شيخنا أبو علي هذا كان من جماعته: الشيخ عبيد: واخبرني بعض الثقات أنه كان مع الشيخ عبيد في مركب فوحلت ، فلم يستطع أحد أن يزحزحها ، فقال الشيخ عبيد: اربطوها في بيضي (الخصيتين) بحبل وأنا انزل اسحبها ففعلوا ، فسحبها ببيضه حتى تخلصت من الوحل إلى البحر ، مات رضي الله عنه في سنة نيف وتسعين وثمانمائه)).

وقال أيضاً في الطبقات (٢. ٨٧): ((سيدي الشيخ محمد الغمري ، أحد أعيان أصحاب سيدي احمد الزاهد رضي الله عنه ، كان من العلماء العاملين والفقراء الزاهدين المحققين سار في الطريق يسيرة صالحة وكانت جماعته في المحلة الكبرى وغيرها يضرب بهم المثل في الأدب والاجتهاد ، قال: ودخل عليه سيدي محمد بن شعيب الخيسي يوما الخلوة فرآه جالساً في الهواء وله سبع عيون فقال له: الكامل من الرجال يسمى أبا العيون)).

وقال أيضاً في الطبقات (٨٨٢): ((سيدنا ومولانا شمس الدين الحنفي كان رضي الله عنه من أجلاء مشايخ مصر وسادات العارفين صاحب الكرامات الظاهرة والأفعال الفاخرة والأحوال الخارقة والمقامات السنية)) إلى أن قال: ((وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود ، وصرفه في الكون ". إلى أن قال: ((قال الشيخ أبو العباس: وكنت إذا جئته وهو في الخلوة أقف على بابها فإن قال لي ادخل دخلت ، وإن سكت رجعت فدخلت عليه يوما بلا استئذان فوقع بصري على أسد عظيم فغشي علي فلما أفقت خرجت واستغفرت الله تعالى من الدخول عليه بلا إذن ". ثم قال" وقد مكث في خلوته سبع سنين تحت الأرض ابتدأها وعمره أربع عشرة سنة".

"قال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه: ولم يخرج الشيخ من تلك الخلوة حتى سمع هاتفا يقول: يا محمد اخرج انفع الناس ثلاث مرات ، وقال له في الثالثة: إن لم تخرج وإلا هيه. فقال الشيخ: فما بعد هيه إلا القطيعة ، قال الشيخ فقمت وخرجت إلى الزاوية فرأيت على السقيفة جماعة يتوضؤون فمنهم من على رأسه عمامة صفراء ومنهم زرقاء ، ومنهم من وجهه وجه قرد ، ومنهم من وجهه وجه خنزير ، ومنهم من وجهه كالقمر ، فعلمت أن الله أطلعني على عواقب أمور هؤلاء الناس ، فرجعت إلى خلفي وتوجهت إلى الله تعالى فسترعني ما كشف لي من أحوال الناس وصرت كآحاد الناس)).

وقال أيضاً في ترجمة علي وحيش في الطبقات (١٤٩.٢): ((كان رضي الله عنه من أعيان المجاذيب أرباب الأحوال ...وله كرامات وخوارق واجتمعت به يوماً)). إلى أن قال: ((وكان إذا رأى شيخَ بلدٍ أو غيرَه ينزله مِن على الحمارة ويقول له: أمسِك رأسَها حتى أفعل فيها! فإن أبى الشيخ تسمَّر في الأرض لا يستطيع أن يمشي خطوةً، وإن سمح حصل له خجلٌ عظيمٌ والناس يمرُّون عليه)).

ويقول الشعراني عن نفسه في كتابه "الطبقات: ((إنَّ سبَبَ حضوري مولد "أحمد البدوي" كلَّ سَنَةٍ أنَّ شيخي العارف بالله تعالى "محمد الشناوي" رضي الله عنه! أحدَ أعيان بيته رحمه الله، قد كان أخذ عليّ العهد في القبة تجاه وجه سيدي أحمد رضي الله عنه، وسلَّمني بيده، فخرجت اليد الشريفة من الضريح! - بين الشعراني والبدوي نحو أربعة قرون! -وقبضت على يدي. وقال: يا سيدي يكون خاطرك عليه، واجعله تحت نظرك! فسمعتُ "سيدي أحمد" من القبر يقول: نعم.

ولما دخلتُ بزوجتي فاطمة أم عبد الرحمن وهي بكرٌ، مكثتُ خمسةَ شهورٍ لم أقرب منها فجاءني وأخذني وهي معي، وفرش لي فراشاً فوق ركن القبة التي على يسار الداخل، وطبخ لي الحلوى، ودعا الأحياء والأموات إليه! وقال: أزِل بكارتها هنا! فكان الأمر تلك الليلة))[١]

قلت: ولكي لا يقال إننا نأتي بما طوى عليه الزمن ، فإليك أخي المسلم أحدث وجه للصوفية اليوم ، وهو الداعية " علي الجفري " وهو يروي عن الشعراني الخرافات ، ويقول عنه: ((سيدي عبد الوهاب الشعراني)).[٢]

[١] الطبقات (١-١٦١).
[٢] . من الموقع.. www.alsoufia.com

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،إله الأولين والآخرين وقيوم السموات والأرضين وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وخيرته من خلقه أجمعين. واللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الميعاد، وسلم تسليما كثيرا.

الحمد لله تعالى والثناء عليه على ما يسر وأعان من إتمام هذا البحث في الثاني والعشرين من ذي الحجة عام ألف وأربع مائة وستة وثلاثين هجريا الموافق للسابع من أكتوبرعام ألفين وخمسة عشر ميلاديا على حشد الطاقة بشكل إيجابي.

وقد أرشف في هذا البحث تطوير الطريقة الصوفية في سريلانكا وتراكمها وتفوقها، ودونت هذه الهيئة على معاشرة المتبع بالطريقة مع شيخه . ومن المعين بالذكر هنا شرح بعض الطريقة الصوفية المعينة المتبعة على الأغلبة في سريلانكا. وفقا على ذلك ، بذلت الجهود في تدوين هذا البحث على أن عقيدة هذه الطريقة معارضة للكتاب والسنة.

وهذا، أكسب التاييد في تركيز هذا العمل بعون الله تعالى المتعال في قصارى الأيام إلى زيارة المريدين بالطريقة وإبرام المعلومات معهم وإجراء المقابلة بهم.

كل أمر يبحثه الإنسان ويتحدث عنه لا بد أن يكون له ثمرات وعبرات يجنيها من بحثه وعمله . وعلى هذا ، وجدت بعض العبرات من بداية جهدي هذا . منها.

- ✓ أن كثيرا من الناس المتبعين للطريقة لا يعرفون طريقتهم التي يفضلون بأصلهم.
- ✓ كيف تعارض هذه العقائد للكتاب والسنة النبوية.
- ✓ تعرف الصوفية المتبعة في الواقع عبادة إنسانية وحدانية على الرغم من كون ذلك متفقا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم في العصر القديم.
- ✓ عجيبة بالذكر اتباع المريدين بشيخهم منذ قديم الزمن.
- ✓ الرد على من زعم اتفاق هذه العقائد بعقيدة الإسلام.
- ✓ مضرة تعظيم الأسلاف والصوفيين .
- ✓ التصريح بأن العبادات المعارضة للإسلام من أهم عبادات الطريقة الصوفية.

أسأل الله سبحانه تعالى أن ينفع جهدي هذا كل مستفيد للعلم . وأن يجعله جهدا مرضيا مشكورا خالصا لوجهه الكريم وموصلا من سعى فيه إلى جنات النعيم ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

✍ بقلم ..

أخيكم في الله

أبي حذافة

محمد عرفات بن عبد الرؤوف

كلية ابن عباس العربية،

جالي. سري لانكا.

٢٠١٥م/١٤٣٦هـ

أشهر المصنفات للصوفية

أسماء الكتب	المصنفون	نبذة عنها
الفتوحات المكية	محي الدين ابن عربي	أربع مجلدات بالحجم الكبير الناشر: دارالفكراللبناني . بيروت
رسائل ابن عربي	محي الدين ابن عربي	تقديم وضبط شهاب الدين العربي الناشر:دار صادر. بيروت.
شرح فصوص الحكم	محي الدين ابن عربي	تصحيح وتعليق : سيد جلال الدين استشياني إيران.
المقدمات من كتاب نص النصوص	محي الدين ابنعربي	مجلد ضخم جدا تناولت فيه الدكتور سعاد شرح مفردات والفاظ الصوفية وخصوصا مصطلحات إبن عربي .
لوازم الحب الإلهي	محي الدين ابن عربي	شعرونثر تحقيق وتعليق : موفققفوزيالجبر الناشر: دارمعد والنمير. دمشق
الانوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية	الامام العلامة عبد الوهاب الشعراني	حققه وقدم له : طه عبد الباقي سرور والسيد محمد الشافعي الناشر: مكتبة المعارف . بيروت
احياء علوم الدين	الإمام الغزالي	خمس مجلدات يباع في المكتبات السعودية . الدمام مكتبة المتنبي
شطحات الصوفية	د.عبدالرحمن بدوي	الناشر:وكالة المطبوعاتا لكويت

عوارف المعارف	للسُهروردي	تأليف الشيخ الاشراقي ابي الفتوح شهاب الدين يحى بن حبش السهروردي مكتبة القاهرة لصاحبها علي يوسف سليمان
الفتح الرباني والفيض الرحماني	للشيخ عبد القادر الجيلاني	بنقل عفيف الدين بن المبارك ضبطه وقدم له : د. محمد الصبّاح. الناشر: دارمكتبة الحياة . بيروت
سلسة اعلام التصوف	رابعة العدوية	الناشر: الشركة العالمية للكتاب . بيروت
تهذيب الاسرار	عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي	تحقيق : بسام محمد بارود الناشر: اصدارات المجمع الثقافي . ابوظبي يباع في مكتبات السعودية.
حلية الأولياء وطبقات الاصفياء	الحافظ ابي نعيم احمد بن عبد الله الاصفهاني الشافعي	دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا. يقع في ١٢ مجلد . موسوعه كامله شاملة. الناشر: دار الكتب العلمية .
كشف المحجوب	الهجوري	الناشر: دارالنهضه العربية . بيروت
دائرة المعارف الاسلامية	ماسينون ومصطفى عبدالرازق اللباني.	الناشر: دارالكتاب يوجد بالسعودية . مكتبة المتنبي بالدمام.

فهرس المصادر والمراجع

التصوف المنشأ والمصدر	للشيخ إحسان إلهي ظهير (١٩٤١-١٩٨٧) إدارة ترجمان السنة للنشر.
دراسات في التصوف	للشيخ إحسان إلهي ظهير (١٩٤١-١٩٨٧) إدارة ترجمان السنة للنشر.
فرق معاصرة	للشيخ د. غالب ابن علي عواجي الطبعة الثالثة (١٤١٨هـ ١٩٩٨م) الجزء الثاني
الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة	للندوة العالمية للشباب الإسلامي في الرياض , الطبعة الثالثة , wamy
مصرع التصوف	للشيخ برهان الدين البقاعي ، تحقيق عبد الرحمن الوكيل رحمه الله (٨٠٩- ٨٨٠هـ)
حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية	للشيخ عبد الرحمن بن محمد سعيد الدمشقي
موقع الصوفية	www.alsoufia.com

بعض الكتب التي ألفها علماء الإسلام من غير الصوفيين

الصوفية والفقراء.	شيخ الإسلام ابن تيمية.
٢- الجزء١١ من مجموع فتاوى شيخ الإسلام.	شيخ الإسلام ابن تيمية.
٣- هذه هي الصوفية.	عبد الرحمن الوكيل
٤- الفكر الصوفي.	عبد الرحمن عبد الخالق.
٥- التصوف معتقداً ومسلكاً.	صابر طعيمة.
٦- التصوف المنشأ والمصدر.	إحسان إلهي ظهير.
٧- التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث.	مصطفى حلمي.
٨- إلى التصوف يا عباد الله.	الجزائري.
٩- التجانية.	علي بن محمد الدخيل الله.
١٠- رسائل وفتاوى في ذم ابن العربي الصوفي.	جمع وتحقيق موسى الدويش.
١١- النقشبندية عرض وتحليل.	عبد الرحمن دمشقية.
١٢- كتاب ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق.	عبد القادر حبيب الله السندي.
١٣- الهداية الهادية إلى الطائفة التجانية.	محمد تقي الدين الهلالي.
١٤- الصوفية نشأتها ونطورها. محمد العبدة،	طارق عبد الحليم.
١٥- نظرات في معتقد ابن عربي.	كمال محمد عيسى.
١٦- الرفاعية.	عبد الرحمن دمشقية.

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	طرف الآية	السورة
١	أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى....."	الضحى: ٦
٢	يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا ...."	الأحزاب: ٥٣
٣	مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا....."	البقرة: ١٠٦
٤	وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ..."	الإسراء: ٨١
٥	إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ..."	النحل٢٢
٦	فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى....."	النجم: ٩
٧	قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ....."	الأنبياء:٦٩
٨	ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا....."	الحج: ٢٩
٩	وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ ..."	البقرة: ٢٥٧
١٠	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ....."	يس : ٨٢
١١	وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ....."	الأحزاب: ٣٦
١٢	وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ....."	الأنعام: ٥٩
١٣	قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ....."	الكهف: ١٠٩
١٤	وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ....."	البقرة: ١٨٦
١٥	وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ ..."	الأحقاف:٥
١٦	قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ..."	الإسراء: ٥٦

١٧	وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ....."	الأنعام: ١٧
١٨	وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ....."	يونس:١٠٦
١٩	قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا....."	الجن: ٢١
٢٠	قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ....."	الرعد: ١٦
٢١	يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ....."	الانفطار: ١٩
٢٢	يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ..."	الحج: ١
٢٣	يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي.."	لقمان:٣٣
٢٤	قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ....."	الأنعام: ١٥
٢٥	مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ....."	الرحمن: ١٩
٢٦	كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ....."	الكهف: ٥
٢٧	تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ..."	مريم: ٩٠
٢٨	فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى....."	الشورى: ٩
٢٩	أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ....."	يونس: ٦٢
٣٠	وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ....."	الشورى: ٩
٣١	إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..."	الأحزاب: ٧٢
٣٢	رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ .." [	يوسف: ١٠١
٣٣	لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ....."	الأنبياء: ٢٥
٣٤	رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي....."	الأعراف: ١٤٣

٣٥	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ....."	إبراهيم: ٣٩
٣٦	وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِين....."	الحجر: ٢٩
٣٧	قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ....."	فصلت: ١١
٣٨	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ....."	الذاريات: ٥٦
٣٩	كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً....."	البقرة: ٢١٣
٤٠	مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ....."	هود: ٥٦
٤١	وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ....."	الإسراء: ٤٤
٤٢	كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ....."	الروم: ٣٢
٤٣	وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا....."	الجاثية: ٢٤
٤٥	قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا....."	النمل: ٦٥
٤٦	وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي....."	آل عمران١٧٩

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٠١
خطة البحث	٠٣
تمهيد : في بيان انحراف الصوفية بصفة عامة	٠٥
الباب الأول :التصوف نشأته وتاريخه وتطوراته	٠٧
الفصل الأول : تعريف التصوف	٠٨
الفصل الثاني : بدء التصوف وظهوره	١١
الفصل الثالث : حقيقة التصوف	١٩
الفصل الرابع :مراتب الصوفية	٢٢
الفصل الخامس :الخلوات الصوفية وشروطها	٢٧
الفصل السادس :الخضوع لأقطاب التصوف	٣٠
الباب الثاني :طرق التصوف	٣٤
الفصل الأول : مبدأ تاريخ الطريقة الصوفية	٣٥
الفصل الثاني : مبدأ تاريخ نشأة الطريقة الصوفية في سريلانكا	٣٧
الفصل الثالث : أقسام المتصوفة وذكر طرقهم	٤١
المبحث الأول : الطريقة الشاذلية	٤٣

المبحث الثاني : الطريقة الرفاعية	٥٠
المبحث الثالث : الطريقة النقشبندية	٥٥
المبحث الرابع : الطريقة القادرية.	٦٥
المطلب الأول :الطريقة النبوية القادري	٧٥
المبحث الخامس: ظهور عقيدة وحدة الوجود في سريلانكا	٨٠
المطلب الأول : طريقة المفلحين	٨٩
الفصل الرابع : أعلام الصوفيين	٩١
ابن عربي الأندلوسي	٩١
أحمد التجاني.	٩٨
ابن حجر الهيتمي	١٠٥
ابن عطاء الله السكندري	١٠٦
عبد الكريم الجيلي وكتابه الإنسان الكامل	١٠٩
أبو يزيد البسطامي	١٢٦
أبو العباس المرسي	١٢٩
عبد الوهاب الشعراني	١٣١
الخاتمة	١٣٦
أشهر المصنفات للصوفية	١٣٨

فهرس المصادر والمراجع	١٤٠
بعض الكتب التي ألفها علماء الإسلام	١٤١
فهرس الآيات القرآنية	١٤٢
فهرس الموضوعات	١٤٥